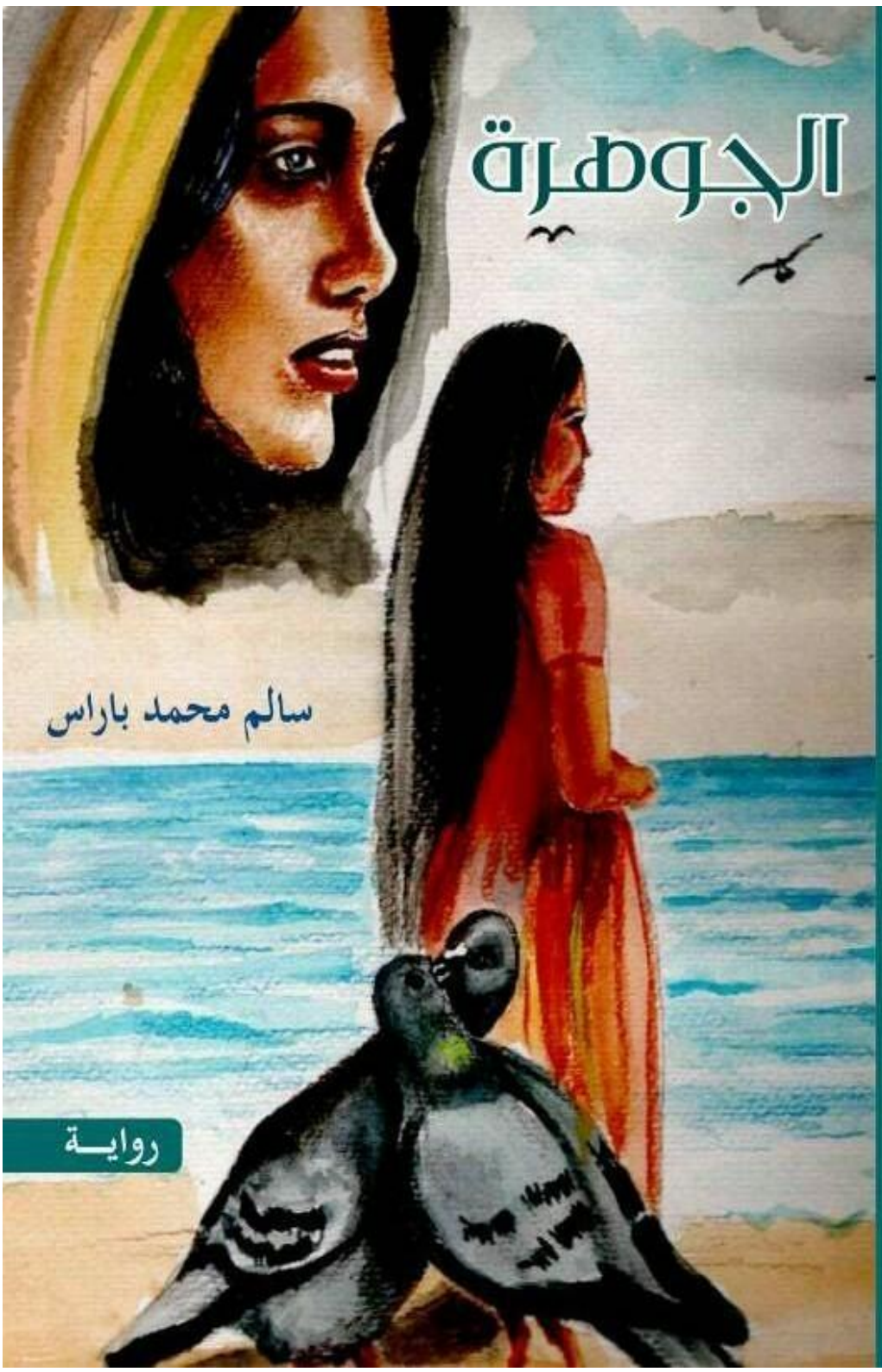


الجوهرة

سالم محمد بجود باراس

الجوهرة

(رواية)

عنوان الكتاب: الجوهرة (رواية)
تأليف : سالم محمد بجود باراس
حجم الكتاب : ١٣ × ١٩ سم
الإخراج الفني : حسن أحمد بلجعد .

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

u

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من المؤلف.

الجوهرة

رواية

{ملاك وعدنان}

تأليف:
سالم محمد بجود باراس

E

J

أحداث هذه الرواية حقيقية حصلت في حضرموت، وبما أن العادات والتقاليد تفرض قيوداً ا وحواجز عن البوح الصريح ، فقد آثرت التعريض أحياناً ، والتمويه

أحياناً أخر ، وما لا ضير ولاغبش فيه ، تم ذكره بصريح العبارة بالزمان والمكان ، حاولت إدماج بعض العناصر في هذه الرواية ؛ لأن سفينة الحب تمشي في عباب البحر ، وتشق دهاليز الظلام ، وأحداث مؤلمة عكرت صفو الحياة حدثت ولازالت تحدث ، ولكن ركزت على قصة حب وعشق ، لتبقى هي رأس حرباء في خضم معترك الحياة ، لا أظن حياة تستمر بوجهها المشرق ، وتريح القلب والبال ، بدون حب للآخرين وتسامح ، الحب قاموس شامل ومحيط لا قاع له ، وبحر لا ينفد ليس له حدود ولا حواجز .

الحب أغنية تشدو أجمل وأروع الألحان ، في عالم ملئ بالحروب والفتن ،أحياناً يخبو ويخمد كبركان عدن، حتى يغيب في عالم النسيان ، بالرغم أنه قريب منا وفي داخلنا ،ولكنه سُرق منا في خضم ومعترك الحياة ،إذا غزتك الآلام والأحزان ، فلنت تحتاج لمن يضمد تلك الجر اح ، ولن تجده في قلب كالحديد قد قضى عليه الصدأ وتآكل ، ستجده في قلب ملائكي ، كحجر الزمرد والماس ، ليس بالهين الحصول عليه ، إلا لمن أحبتهالأقدار ، لتنشله من وحل المادة إلى عالم يسمو في ملكوت الروح .

هذه الرواية تجسد كل ما تصبو إليه ، فإن حُرمت لمسة حنان وكلمة عطف وحب ، فغص بين ثنايا لتغترف من بحر جودها ، ماء يرطب ذلك القلب الذي غزته الهموم والغموم ، تعال مع ي لتُحلق بخيالك وفكرك في عالم الصفاء والتسامح والوفاء .

المؤلف : سالم محمد بجود باراس

(١)

باراس

لم يكن يعرف الهوى واقعاً ملموساً في حياته ،كان مرهف الحس ،شارد الذهن وشاعر ،يخفي خلف جدران قلبه مواهب لايعرفها أحد أبداً ...

كان يحلم بحب يخطف الأبصار ، بحسناء ذات جمال وقوام،أحياناً يغوص ملء أُذنيه في بحرٍ من الخيال، فيسبح ويهيم مع عشيقته التي تحبه حباً ليس له مثيل...

هكذا كان يرسم لوحتها في خياله فقط ظل يكتب أشعاره لحبيبته الجميلة وينسج قصص من نسج الخيال حولها...

إنه كالعطشان للماء ، يبحث عنها بكل مكان ، لعله يجدها يوماً ما ، فيشفي غليله الذي طالما ظل يحلم ويرسم لوحتها بأزهى ألوان الطيف ...

إنه العشق الذي التصق بتلابيب قلبه ، كان عدنان إذا أحب يعشق بكل جوارحه ... ولكن أين هو ذاك الحب الصادق ، أين تلك الفتاة التي تنزل كملاك من السماء فتهبه ذاك الحب وذاك الدفء والحنان ؟!!

كعادته ذهب لسفح جبل ، يرنو بناظريه للسماء الصافية، للهدوء الذي يتغلغل في وجدانه ، يطربه زقزقة العصافير، وخرير الماء في السواقي ...

هكذا تسير حياته بلا هدف ،كل أمنياته تتبخر ، كل أحلامه تتصاعد كالدخان.

كان يتمنى أن تكون له جناحين فيطير بهما للمجهول ،المهم ينطلق ويغيب في الأفق البعيد .

وذات يوماً انطلق يمشي هائماً على وجهه ، كاد يموت عطشاً كان الجو صيفاً ،لقد ابتعد كثيراً عن مورد الماء ...

وفجأة شاهد فتاة فارعة القوام جميلة المظهر ، ترعى بأغنامها ، كانت المسافة الفاصلة بضع أمتار فقط ، يفصل بينهما حاجز صغير ،كاد الظمأ أن يفتك به.

كانت تنظر إليه بنظرات غريبة ، نسي شدة الظمأ ، وهام بها وهو لايدري لماذا وكيف ؟ !!! شيء يجذبه بقوة إليها ،كانت شابة في العشرين من عمرها ،والعجيب كل مواشيها ماعز شديدة البياض .

كان ثوبها الكالح السواد ينبئ عن شابة لم تكن متزوجة،وترتدي برقع يغطي وجهها ،لقد ثبتت نظرها بقوة إليه ، والعجيب إنها كانت تبتعد عنه دون أن تعطيه ظهرها ...

قطع الحاجزالصغير ،ليصل إليها ،ويسألها شربة ماء،ولعله يعرف من أي القوم هي،وما الذي جاء بها هنا في هذا المكان البعيد والموحش ؟ ! ياللهول لمَ نزلت الوادي بهذه السرعة ؟ !! أهي خائفة مرعوبة ،أعرف هذا الوادي عميق جداً ،ويحتاج نزوله لساعة كاملة ،إذاً هي اختبأت بين صخوره لتتفادى لقائي ،لذا أسرعت السير لكي تطمئين بأنني لست وحش كاسر أو ذئب مفترس.

باراس

كان الوادي موحش وكنت لوحدي ، دخلني الرعب من شخص همجي يطلق رصاصته دون وعي ولا تفكير ، يظنني أغازل هذه الراعية البدوية ذات الجمال والحُسن والدلال ، من حركتها وطريقة نظرها إليَّ كأنها تقول لي : تعال معي أقترب أكثر لا تخاف.

اقتربت أكثر من حافة الوادي كانت الرياح شديدة ، خفت أن أكون لحم جاهز للضباع والطيور الجارحة ، فالسقوط من هذا الوادي يعني لي لن تبقَ حياة أعيشها لكي أرى هذه الفتاة الغريبة.

لا أصدق ما أرى أبداً ،كيف حصل هذا ،هل أنا في حلم ،لقد أصبحت في وسط الوادي هي وأغنامها بسرعة البرق ،لا طريق من هنا أبداً لنزولها ،صرت أتاملها بإعجاب ودهشة وأنا أنظر إليها من مكان شاهق الارتفاع.

وكلما رمشت عيني،تختفي هي وأغنامها للجهة المقابلة ، كيف تختفي بهذه السرعة دون أن تعطيني ظهرها ؟!!.

حينها فقط عرفت أنني مع موعد مع العالم الآخر ،تسمرت مكاني ليس خوفاً ،فلم أكن يوماً أخاف الظلام ولا الجن ،بل وددت أن تتكلم معي تزيح وحشتي وتضمد جراحي ، جراح قلباً عاشق وولهان ،فقد كانت بالنسبة لي حدث رائع ، في هذا الوادي المخيف والمرعب ، ولقد علمت لاحقاً بأنه يسمى وادي الجن .

عدت من ذلك الوادي وصورة الفتاة تطاردني في منامي ويقظتي، كنت أبحث في مخيلتي عن شيء أفتقده ، حب يملأ قلبي ويزيل وحشتي ، ذهبت لصديق طفولتي وظلي الذي أبث له كل أحزاني ،وجدته قابعاً في ذلك المكان الذي اعتدنا عليه ، تحت شجرة السدر ،وتلك هي استراحة المحبين .

ما أن رآني حتى بش وابتسم وقام مرحباًبي وهو يقول:

- أهلاً بصديق العمر مابك ياعدنان مقطب الوجه وحزين هكذا ؟!
- لا شيء يا عمر دعني في حالي !! .
- مستحيل أتركك ألم نتعاهد يا أخي أن نكون روحاً واحدة وقلباً واحداً.
- هل غدرت بالعهد يا عدنان ؟!!
- لا يا صديقي عمر قبل سنوات كنت أملك أصدقاء مثلك أحببتهم ، ووثقت بهم وعاشرتهم وكانوا يرددون هذه العبارة: أنهم لن ولن يتخلوا عني يوماً ،لقد كانوا ملاك في صورة بشر يا عمر أين هم الآن؟!! يا عدنان لمَ هذه الدموع ، لِمَ تنكأ جراحك بهؤلاء ، لقد باعوا الصداقة والأخوة وعيش الملح ، هل من ذهب عنا بعيداً يبيع أخوهُ وصديقهُ ، كانوا بالنسبة لي كل شيء يا عمر كل ش يء!! يا عدنان أنا صديقك وأخوك وأنفاسك التي تتنفس بها ، لا

تفكر فيما مضى فقد مضى ، فكر في هذه اللحظة فقط ، التفكير في الماضي موت بطيء وانتحار للمشاعر والوجدان.

لقد كانوا يا عمر مثلك ذوو أخلاق ومعدن أصيل ، ولكن قلوبهم وألسنتهم خدعتني ، لم أكن أفكر يوماً من الأيام بأن الأخ ينسى أخوه، والصديق ينسى صديقه بمجرد أن يغيب عنه ، ومن قريته أو حارته ،هكذا عرفتهم بأخلاقهم وأدبهم ثم ذهبوا بعيداً تعلموا في المساجد وحفظوا القرآن ، والآن نسوا أخوهم ورفيق عمرهم ،خمس سنوات يا عمر ولا حتى سلاااام ، أفٍ لكم كلكم أصحاب مصالح؟ !! أتذكر عندما اعتليت ذلك الجبل وصرخت يا إلهي هؤلاء هم أخوتي، مرعي ومراد وأيوب ،وأعزهم إلى قلبي مرعي فإن خان الصداقة فلا صديق بعده أثق فيه ،هذا يارب يحفظ كتابك وتقي نقي ، فإن نسي هذا الصداقة والعِشرة فلا صديق بعدها يمكن الوثوق به ، فأين هو الآن سنوات يا عمر ولا ذكر له ولا خبر ، يعرف مكاني وموقعي ولكن ؟ ! وداعاً ياصديقي فإن في جوفي ناراً تشتعل ...

لم أنم تلك الليلة كانت دموعي تسبق كلماتي ،عاتبت نفسي كثيراً ، رغم كل الجراح من أخوتي وأصدقائي ،لقد جرحت صديقي عمر ،غصباً عني خرجت تلك الكلمات من قلبي الجريح ولكن ماذا أفعل لم أستطع كتمها؟!!.

وفي الصباح ذهبت لبيت عمر وجدته يقرأ القرآن ، ودموعه تنزل على خده لم أتمالك نفسي فهرعت إليه مهرولاً وصافحته وعانقته ، ولكِلانا لم يستطع أن يعبر عن ما في نفسه من شوق وحب عميق ، إلا بالدموع ، هذه المرة عرجنا للجبل ودخلنا الكهف الذي يعتبر ملاذي عندما تجرفني الهموم والأحزان،تلك الجدران تعتبر ترجمان لكل همومنا وأحزاننا ،هناك وبين جدرانه الصماء نستعيد طاقتنا للاستمرار في الحياة ، نظرت لعمر وهو حزين وقلت له:

- هل تجد في نفسك شيء مما فعلت يوم أمس ؟!!

ابتسم وقال:

- لا أنت محق فعلاً صديقك مرعي يعتبر رئتك التي تتنفس بها ، والكل يعرف ذلك الصغير قبل الكبير ،كل يوم على لسانك وهو كذلك.
- فما الذي جرى لهذا الزمن يتقلب كالحرباء ؟!!!
- لا تتكأ الجراح يا عمر أنا نفسي لا أعرف بل أذكرهم كل ساعة ولحظة، ولكن عندما تجد من ينساك تشعر إنك سوف تقتلع ذكره من قلبك وخيالك

ولهذا أبحث عن فتاة رسمتها في خيالي لعلها تضمد بعض جراحي، ضحك عمر واستوى جالساً في الكهف وقال وكيف رسمتها في خيالك وأنت لم تراها من قبل ؟!!!

رسمتها في خيالي فتاة جميلة ، حلوة المبسم بارعة القامة،أسنانها كالثلج بياضاً،وعيناها كالزمرد الأخضر.

يكفي يكفي أيها الشاعر الملهم ، إنك تصف ملاك أو حور العين في الجنة . وليست فتاة عادية .

نعم يا عمر أصف ملاك وسأجدها يوماً ما وستضمد كل جراحي ، هذا الزمن غدار يا صاحبي ، ما أجمل أن تجد من يفهمك ويحس بك وتعانق روحك روحه وداعاً يا صديقي .

هكذا تمر الأيام والشهور وتلك اللوحة أمامي يُخيل لي أنها تغادر اللوحة . يا إلهي لا أصدق إنها تتشكل أمامي ،تبتسم تضحك ،هاهي تقترب مني ،أشعر بخوف ورعب،هل أحلم لا مستحيل ،تتحول الصورة لروح وبشر يتكلم ، كان الضوء خافت شعرها كخيوط الشمس تتلألأ،ابتسامتها تجعلك تتسمر كقطعة خشب ، اقتربت مني ، ورائحتها زكية كدت أُغمى من هول المشهد وجمال تلك الفتاة .

ما بك ياعدنان أنا حلمك هل نسيتني ؟!!

أنا فتاة الأحلام،أنا حياتك.

مستحيل هذا حلم وليس حقيقة !!!

أنا ملاك يا عدنان ألست تحلم بي ليل ونهار ، في منامك ويقضتك ،ها أنا ذا أمامك ،أنا حقيقة وليس خيال تعال اقترب مني تعال يا عدنان .. تعال ياعدنان .

عدنان انهض أي ملاك هذ ه يا بني هل تحلم بزوجة ، سنزوجك ابنة خالك جابر ما عليك إلا أعطني الموافقة وسترى أمك تزوجك أجمل بنت في حارتنا..

يا إلهي يا أمي كل هذا حلم لا أصدق ؟!!

وماذا حلمت ياعدنان ؟!!

لا لا شيء مجرد أضغاث أحلام ، أين فطوري يا أمي سوف ألحق على صديقي عمر قبل أن يذهب بعيداً.

لم يعد عدنان يعي ماحوله من الأحداث ، إنه يبحث عن فتاة الأحلام تلك اللوحة التي رسمها في خياله، ووجدانه فأضحت لديه حقيقة لا شك فيها ،إنه يتأملها كل لحظة، ويختلس النظرات إليها كلما سنحت له الفرصة

وفي الصباح الباكر خرجتُ كعادتي استنشق هواء النسيم ، وأتأمل هدوء وسكون الطبيعة ، وفجأة لمحت عيني جوهرة تتلألأ ،وهنا تغير الحال...

نعم لقد تسمرت مكاني ،لم أستطع حراكاً ،كانت أمامي كملاك نزل من السماء، هي هي التي كنت أرسمها في لوحتي وفي خيالي ،نعم إنها تلك الفتاة التي كنت أحلم بها ،ولكن من أين جاءت ،ومن أي القوم هي ؟!!

نظرت إليَّ نظرات استغراب ودهشة ،ثم شاحت بوجهها واختفت بين بيوتات الحي ،كادت أنفاسي أن تنقطع ،زادت ضربات قلبي ،تصببت عرقاً ،وشعرت ببرودةتسللت إلى أطرافي،لم أنطق ببنت شفة ،وواصلت السير...

باراس

مشيت هائماً لا أدري إلى أين ،خطوت خطوات مثقلة،كان أحدهم يناديني ،فلم أعره اهتمام ،كانت عيناها جميلتان ، ترتدي نقاب خفيف يظهر وجهاً يتلألأ كالقمر ،وأسنان تضئ كالنجوم ،تذكرني بفتاة الوادي ذاك الوادي العجيب ،آه من أي القوم هي إنها غريبة في حيينا .

لن يشفي غليلي إلا صديقي عمر ، ذاك الصديق الذي يعتبر صندوق أسراري ،هاهو كعادته تحت شجرة السدر ينتظرني ،لقدتعودنا على هذا المكان البعيد من الضوضاء فكلانا يحب الخلوة .

سلمت عليه وعرف تغير حالي فقال :

لقد جئت بغير الوجه الذي أعرفه ما الذي حصل ؟!!

رأيت اليوم فتاة الأحلام ياعمر ،فتاة شعرت بأنها هي من أبحث عنها ،لقد س كنت قلبي وتربعت على عرش وجداني ياصديقي...

فانطلقت ضحكة مدوية من عمر وقال : عجيب أمرك بالأمس تقول وأنت صاحب الفراسة والنظر الثاقب لم تعجبك بنات حيينا ،والآن تُعلن حبك لفتاة الحي ...

مستحيل تكون من بنات حينا ؛لأن صورتها هي هي من رسمتها في أحلامي ووجداني،إنها بيضاء البشرة وذات عينان جذابة وساحرةلم تراها ياعمر وإلّالما سخرت مني..

يا صديقي عدنان النساء مندوبات إبليس على وجه الأرض ،تحب هذا وتعشق ذاك ، إن لم تعرف أسرارهن ،

باراس

وكيف تجعلها حياتك وقلبك وأنفاسك ، فأنت تبحر في محيط بلا قعر...

يا صديقي تعلَّ م كيف تختار شريكة العمر ، فإنهن عقارب في صورة ملاك ،ولكن إذا كسبتها فلن يستطيع أحد انتزاعها منك ، ستظل لك كالروح للجسد،

كم أنت خبير يا عدنان ليتني أتعلم منك .

لقد جرجرتني في الكلام يا عمر من تلك الفتاة ومن أين جاءت ؟!!

نعم لقد تذكرت إنها ابن ة عمك مرزوق ، جاءوا من الإمارات قبل يومين ، وسيمكثون هنا قرابة الستة أشهر وربما أكثر حسب راحتهم هنا ثم يرتحلون ،يالك من ساحر ياعدنان ،لقد رأيت ابنته الوحيدة ،إنها متعلمة ومثقفة وشاعرة أيضاً.

فصرخت وقفزت كالشمبانزي ،إنها هي التي أبحث عنها ،لقد أرسلتها الأقدار لي ، أيتها السماء ،أيتها الأرض الطيبة، لقد دقت ساعة الصفر وأشرقت شمس الأمل .

مهلاً مهلاً ياعدنان لقد طاش عقلك وصرت كالمجنون .

ولكن كيف ستصل للثريا يافارس الأحلام ،وبينك وبينها مسافات وأهوال ؟!!!

من يحب بصدق يقتحم الأهوال ويصنع المعجزات ياصديقي ،العشق ترياق القلوب وسحر يخطف العقول ،أنت لا تعرف معنى الحب الحقيقي الذي يسمو بك في

باراس

ملكوت الكون ،يجعلك تطير بجناحين كالملائكة في السماء،تحلق كالطيور فتجد الدنيا بملذاتها وبهرجها حقيرة لا تستحق منا هذا الجهد لنتقاطع لنتناحر...

الحب يا عمر أنفاسنا التي نتنفسها ،الحب يصنع السلام والوئام والمحبة ،الحب لا يصنع الحروب والمتفجرات،الحب يصنع المستحيل يجمع ولا يفرق،الحب يا عمر،الحب هو ...

هذا يكفي ياعمر لن تفهم ماأعنيه ،فإنني أتكلم بلغة العشاق تلك اللغة الميتة في زماننا هذا !!!!

على رسلك ياعدنان فأنت ساحر محترف فكلماتك تذيب الصخور فكيف بقلب امرأة وداعاً قبل أن أصبح رهين أفكارك ...

ولكن لم تقل لي كيف ستجعل ملاك تنجذب إليك كالمغناطيس ؟!!

دع الأمر لي ياصديقي فإنني فارس في كل الميادين لا أرضى بالهزيمة أبداً.

ربت عمر على كتفي وقال: هكذا عرفتك والعجيب ، لا يعرفك أحد مثلي ، والأعجب أنني كل يوم اكتشف فيك شيء عجيب وغريب،عبقري وو...

دع عنك هذا المدح الآن وأغرب عن وجهي ، أما علمت أن المدح كالذبح ،وداعاً ياصديقي ،ودعني أُرتب أوراقي.

باراس

جلست أقلب أفكاري وأجمع قواي كيف سأسطو على هذا القلب الغريب ؟!!! لقد امتلكتني بتلك العين ين العسلية وذاك الجمال الباهر ،سأجرب هذه الخطة ،لا لا تلك أفضل ،ولمَ هذا التخطيط سأختصر المسافة ،وأبعث لها برسالة وبعد الرد أبعث لها بيت من الشعر ليكون مفتاح السعادة ،فإما تقول على الرحب والسعة ، وتكون رفيقة عمري ما حييت ،أو أندب حظي وأعض على أناملي .

((إلى ملاك قلبي ومن سلبت عقلي و فكري ،وتربعت على عرش وجداني ، أنا لم أر ك إلا مرة ولكنني وجدت روحي أمام عيني ،أنا لا أخدعك بكلماتي ولكنني أحببتك والحب كما يقال من أول نظرة ،هذه رسالتي لك من القلب إلى القلب ،وأتمنى أن تدخل قلبك ،منذ سنوات وأنا أبحث عنك في كل مكان في خيالي وفي وجداني ، أبحث عنك تحت الأرض وفوق الأرض ، في عين الشمس وبين الكواكب والأفلاك ،لقد رسمت صورتك قبل أن أراك ،وعندما وجدتك أمامي دهشت لا أصدق نظري ،قبل فترة رأيت فتاة تقطع الوادي في لمح البصر جميلة ولكنها من عالم آخر ،دخلني الخوف وساورني الشك عندما رأيتك ،فقلت : هي هي تريد أن تعشقني لقد سمعت عن عشق الجنيات ولكنه عشق مخيف ومدمر ، ولا أريد أن أعيش تلك العذابات ، ملاك أرجوك لا تذبحيني

بردك،استفتي قلبك ومشاعرك وأحاسيسك ثم ردي رداً يثلج القلب فإنني على أحر من الجمر،العاشق الولهان عدنان)) .

قرأت ملاك الرسالة و اغرورقت عيناه ا بالدموع ،لقد كانت تبحث عن قلب هي أيضاً، قلبٌ يحبها لشخصها وليس بثُترى كالبضائع،هي ليست سلعة يساوم أباها عليها ،كانت العادات والتقاليد تحول بينها وبين رغبتها ،قرأت الرسالة مرات ومرات ،ساورها الشك ،هل هو ذئب يحوم حول حماها يريد أن يخدش عذريتها ويتركها وليمة للطيور الجارحة والسباع المفترسة، نامت ولم ينم قلبها ولا عقلها ، كانت تستشير دائماً صديقة عمرها غيداء في كل صغيرة وكبيرها ،كانت غيداء مخلصة وتعتبرها روحها الثانية،اقتربت ملاك منها وبيدها الرسالة ويداها ترتعش فقد غزاها الحب والعشق وطرق قلبها وتربع عليه...

غيداء هذه رسالة من عاشق ولهان .

قرأت غيداء الرسالة بصمت وملاك تنظر في عينيها لعلها تختطف منها كلمة توحي بما في نفسها .

نظرت إليها غيداء وهي تبتسم وقالت :

طبع المرأة كالمغناطيس تعرف ما يدبر لها أهو مكر أو خير ،وأنتِ يا ملاك غزاك العشق فلا مفر منه ،عدنان هذا أسمع به رجل شهم وذكي ويحمل مواهب عدة هكذا سمعت عنه ،والرأي الأول والأخير لكِ ،ولكن أحترسي المرأة كبش الفداء والرجل ذئب غدار.

باراس

نعم يا غيداء لا أعرف عدنان ولكن قلبي تعلق به ،أحسست بأنه أحبني .

لا تتعجلي يا ملاك اكتبي له ردك فإن سهم الهوى قد صادك سلام ، فلن أتدخل فيما ستقولينه له ،هنا تنتهي حدودي .

كان عدنان على أحر من الجمر ،تمر الساعات كأنها أشهر ،ظل يدور في غرفته كالمجنون، قرر أن يخرج لعله يجدها في إنتظاره،وفي الطريق وجد أحد أصدقائه ، ولكنه صديق ساعة وصاحب مصلحة ، ظل يكلمه عن آخر التطورات في البلاد وأن الأحزاب اجتمعت، وهناك سيكون قرار تاريخي كان التاريخ ١٩٩٠م ، وحضرموت ترزح تحت صراعات سياسية لا تنتهي ،وعدنان يهز ر أسه وساعة ينطق ، ربما ، ويمكن ،نأمل ذلك ،وأخيراً تنفس الصعداء عندما ناداه أحدهم استأذن ورحل .

كان عدنان قلبه هناك بملاك القلب والروح ،ظل يحدث نفسه ويقول : أكيد مزقت رسالتي لم تقرأها حتى أوربما عرضتها على أبيها،وحينها ستكون فضيحة وسيبدأالمرجفون في القرية بنسج الأساطير وفتح باب الجبهة ،وأبي في غناء عن كل هذا ،هذه التقاليد والعادات تذبحني

كان عدنان يترقب خروجها كل لحظة ، يجلس ساعات طويلة ونظره إلى بيت ملاك ،لعلَّ طيفه يلاقي طيفها ،ها

هي تخرج من بيتها،زادت دقات قلب عدنان ، بدأت تقترب من مكانه.

إنها تنظر إليَّإنها تحمل ورقة بيدها ،أها لقد فزت يا عدنان ،لقد طرق الحب قلبها ،أسرعت أمامه وتأخر هو ، كمن يحاول أن يسرق الكحل من العين دون أن يراه أحد ،إنها تنظر يميناً وشمالاً وخلفها،هل يراها من أحد ؟

دسّت الرسالة بين جدار حائط قديم ،ثم اختفت مسرعة للأمام.

أسرعت وكنت أيضاً التفت بكل الجهات الأربع ،ثم التقطت الرسالة،وهرعت لغرفتي وأغلقت الباب على نفسي ، كنت خائفـاً جداً ،ربما أجد ما يصدمني ،هل هي كلمتين فقط؟أنت رجل بلا ضمير ،كيف تراسل بنت غريبة وبهذه اللهجة والوقاحة ، أستعذت بالله وفتحت الرسالة وكم كنت سعيداً جداً ،استلقيت على وسادتي وقربت ضوء الفانوس ، وأنا أشم عطر يديها في هذه الكلمات (أيها العاشق الولهان هل تريد أن تحرق قلبي وتقتلعه من بين ضلوعه،وتجعلني أبكي دماً ما حييت ،نحن الفتيات مثل الزجاج عندما تنكسر يصعب جبرها ،وعذريتنا مثل عود الثقاب يشتعل مرة واحدة فقط ،فأرجوك لا تعذب ملاك إن كانت هذه نيتك ،لقد دخلت قلبي وتربعت فيه من أول نظرة ،فكن كما أريد يا عدنان ،لا تحرق مشاعري وتدوس على كرامتي ب اسم الحب والعشق ،فهذا الحب يعيش في أعماق كل فتاة ،هو

رابض مقيد بسلاسله أدنى كلمة تثيره،فلا تجعله يستفيق من قمقمه ،والكبت الذي مقيد به ،فلا تجعلني أول ضحية لشهواتك ونزواتك ،فإن كنت صادقاً سأظل لك كالروح لا تفارق الجسد ...)).

قرأها عدنان عشرات المرات وهو يقول : هذه من أبحث عنها هذه هي ملاك العمر ، نعم هذه هي حبي وعشقي وحلمي ،سأبذل كل جهدي لتكون لي ،مستحيل أحدهم يختطف حلمي مستحيل.

ثم بعثلها بهذا البيت والخوف لا زال يفتك به ،صار يهمس ويتمتم هل وثقت بي أم لازال الشك يخيم على قلبها وعقلها؟ولها الحقفأنا عاشق من نظرة ولابد من التيقن والتثبت...

يافتاة الحي هل لوصلكم من سبيل
حبكم طرأ على بالي والفؤاد عليل

نعم هذه تفي بالغرض ،حالما أجد فرصة سأرميها تحت قدميها ،هيا ياعدنان لا تكن جباناً ،فأنت تبحث عن فتاة المستقبل .

هاهي تجلس في نفس المكان ،استجمعت قواي رغم رعشة خفيفة تسللت إلى كل أنحاء جسدي ،وجاءتني هواجس مخيفة ،أن تفضحني ويرتفع صوتها مهللة وصارخة ومستنجدة ،ولكن تقدمت لساحة الو غى ورميت

باراس

الورقة تحت قدميها ، وأغلقت الباب على نفسي وقلبي يرتجف مما ستؤول إليه الأحداث .

عدنان ..عدنان .. افتح الباب .

من هذا الذي يقرع الباب بقوة ،وصوته كالرعد من الطارق ؟!!

افتح ياعدنان أنا عمك مرزوق ...

وقع المحضور ياعدنان ،لملم أوراقك واستعد للمعركة.

فتحت الباب وقد تسارعت نبضات قلبي ، وشعرت برجفة أحاول أخفيها برفع صوتي قائلاً:

أهلاً وسهلاً بالعم مرزوق تفضل .

فرد بغضب وحنق ،أهذا هو طبعك وشيمتك وجوارك ياعدنان ؟!!

تحشرجت الكلمات في صدري وكادت أنفاسي تنقطع ،وبعد زفير وشهيق خرجت كلماتي وكأن سيف الجلاد واقف فوق رقبتي ...

خير يا عم مرزوق ؟!!

أي خير ياابني ولم تزرنا منذ أن جئنا من الإمارات ، فقد سمعت عنك الكثير وعن أخلاقك وحسن أدبك ،فتنفست الصعداء وقلت في نفسي : (الناس دائماً تحكم على الظواهر ولا تعلم عيوبنا في البواطن ، ملاك ياليتني أكون من نصيبك ،سأبذل كل ما بوسعني لتحقيق ذلك).

ما بك ياعدنان ،أما سمعت ماقلت لك ؟!

نعم نعم ، ياعم مرزوق ،إنني والله مُ قصِّر معاك ، والليلة سنزورك ونعتذر عن تقصيرنا نحوك ، فكل يوم ألتقي بك في المسجد ونتبادل أطراف الحديث ،ولكن الزيارة واجبة لتزداد أواصر المحبة والمجورة بيننا .

ثم ودعني وذهب ،بعد أن كادت أضلعي تختلف في صدري.

وفي الوقت المعلوم ذهبت لبيت ملاك العمر ،ولا يزال الخوف يعشعش في عقلي ،والأفكار تتصارع واختلق أحياناً مواقف ستقع ...

أسمع صوتها يزلزل وجداني ، ويخترق آذاني وهي تصرخ قائلةً :

أترحب بهذا الرجل الذي يدعي الصلاح وهو يغازلني برسائله وأشعاره ؟

وهنا سوف أطرد من البيت شر طردة ...

وعند ولوجي للبيت بالصدفة ويا محلى الصدف قابلت ملاك ،فنظرت نظرة تنم عن حب عميق وود وتواصل أكيد ،وابتسمت إبتسامة اشرقت لها أسارير وجهي .

حينها سمعت صوت عمي مرزوق كالرعد يدوي .

تفضل ياابني أهلاً وسهلاً بك على الرحب والسعة .

وأثناء حديثنا ذكر ابنته ملاك و أنها دنيته وفلذة كبده ،ثم ذكر وهو يضحك بيتٌ من الشعر ترددده ابنته منذ البارحة ،وذكر البيت الذي ارسلته إليها ...فشهقت لسماع ذلك ،ثم

باراس

أردف قائلاً : هي شاعرة ومثقفة ودائماً ماتردد أشعارها ،إنها تبحث عن ابن الحلال ويكون ذو خلق ومال وجاه ...

قلت في نفسي : (أف لك افرحتني في البداية ، ثم ذكرت المال والجاة ، ومن أين لي بهذين الشرطين تبا لك أيها العجوز الخرف).

وبعد حديث طال كلمني عن أعماله وتجارته ، وسرد لي قصص حياته وغزواته ، استأذنت بالانصراف .

وأثناء خروجي وجدتها واقفة تسترق النظر ،كان مزاجي قد تغير و أصابني الضجر من كلام العم مرزوق ،المال والجاة تباً لكما .

ومن أين أجدكما وكيف ؟!

وأنا رجل فقير معدم ، أهكذا تقاس عندكم الرجال ، بالمال والجاه...

والحب والعشق والمعدن ، وحُسن الخلق ليس له مكان عندكم،المال سرق منا أغلى من نحب ونعشق في عصر المادة اللعين ،ضاعت واختفت الروحانيات ،فجاهي ومالي ، ذاك الحب الصادق والوفاء الذي لا يفنى أبداً إلا بالموت لكلانا.

فنظرت نظرة مودع مكلوم حزين ،وكم كانت تلك النظرة كمن أعاد لي الحياة من جديد،فلقد لوحت لي بورقة كانت بيديها الجميلتين ،فعرفت القصد وأيقنت بالفرج،فاختبلت في أحد الأزقة ،وأبطأت السير عمداً ،وإذا

بها تمر من أمامي كالكوكب الذر ي،وترتسم على محياها إبتسامة عريضة ،وكانت عيناها تلمع كزمردة تض يء،ثم رمت ورقتها واسرعت في السير.

التقطت الورقة وانطلقت أسابق الريح لأعلى قمة جبل،فهناك وفي ذلك الكهف الذي أمضيت سنوات عمري فيه،فتحت تلك الرسالة وكأنها من هدهد سليمان،

ويا لسعادتي أشرقت أسارير وجهي ، وأسندتُ ظهري على حجرة ،كأنني ملك على كرسيه،وها هي السماء فوقي ملبدة بالغيوم،وهاهي رائحة الأشجار تلهمك شعور غريب وسعادة لا توصف ...

بيتين من الشعر ماأجملها،وما أروع معانيها ...

ما دمت على الوفاء فأنت الخليل
وإن طعنت القلب شكوتك للجليل
عشقي لك دائم ما أبدَّل به بديل
والمحبة سم قاتل في نهارٍ وليل

لقد فهمت الرسالة فهي تحوي ترغيب وتهديد ،وتخشى على نفسها من ذئب مفترس وثعلب ماكر ،ماأروعك ياملاك ومأأجمل فطنتك وذكائك ،هذه هي من أبحث عنها في كل قواميس العالم .

ومنذ ذلك اليوم بدأ ميلاد جديد ، عدت لعصور قديمة أتقمص شخصية ذلك العاشق في صحراء البادية ،كيف كان يعيش لحظات الهيام وقمة العشق الصادق ...

ها هو يمتطي صهوة حصانه ،ويأخذ القليل من الزاد ويتقلد سيفه ،ثم ينطلق فلا ترى إلا الغبار خلفه .

هناك في الصحراء وفي شدة الرمضاء ، تذوب كل الأحلام النرجسية والخيالات ،هناك واقع وصراع للأقوى ،الخوف يحيط بك من كل مكان من قطاع الطرق ،ومن الضياع في صحراء ليس لها خطوط ، ولا لوائح تهتدي بها لطريقك ،ولكنها خبرة من عاش بين جنباتها وعرف أسرارها بحدسه وفراسته وعلمه بالنجوم والإتجاهات.

هاهي ملاك مع قطيع أغنامها تتنقل كالنحلة تبحث عن مواقع العُشب والماء ، على سفح ربوة وقف بحصانه ،ويكاد الشوق يقتلع قلبه من مكانه ، هناك روحه تنتظره ، وما أن رأته حتى هرولت إليه مسرعة ،وتناجيا ساعة ،بأجمل عبارات الشوق ولهفة العشاق ،ثم قالت : أما خشيت أحداً يراك هنا ؟!!

فقال والشوق يعصف به : من يحب لا يخشى الأهوال ياملاك عمري ...

فتنهدت تنهيدة كادت أضلعها أن تسمع لها صوت خفي كقعقعة السيوف ،ثم قالت : كيف قطعت الصحراء في شدة الحر هذا ياعدنان ؟!!

نظر بعيداً وهو ينظر للأغنام وهي تتبع مواقع العشب ،ثم غاص في عينيها فيرى بحراً من الأحزان يموج وعواصف هوجاء وقال :

باراس

ومثلك ياملاك من يسأل هذا السؤال ؟!!!

ذهبتُ لأبيكِ ذات يوم وطلبت يدك ،فكان رده عنيفاً وقاسياً وقال : أما علمت أن عادة العرب لا تزوج من يعشق ابنته ؟!!

تباً وسحقاً لبعض العادات والتقاليد والأعراف ...

ثم ارتحلتم عن الديار فتتبعت آثاركم لأن الحياة بعدكم جحيم لا يطاق...

إيه ياعدنان ، ففراق من نحب ونعشق أشد من فرا ق الروح للجسد .

هناك صوت يسمع آت يًا من بعيد ، وجلبة وقعقعة السيوف تقترب ، إنهم قطاع الطرق ،يستاقون الأغنام أمامهم ويحاولون الاقتراب من ملاك لسبيها واختطافها .

في هذه اللحظات الجميلة انقلبت السعادة ونشوة اللقاء ،إلى غصة وجحيم ،هاهو الموت قادم لا محالة ،ولابد من المواجهه والاستبسال .

سمع قائدهم يزم جر ويطلق صرخات هستيرية وهو يقول: اجمعوا كل المواشي وتلك الفتاة الجميلة ستكون لي ،وهي جائزة قائدكم وسيدكم وتاج رؤوسكم ؟

حينها فقط ثار وزمجر عدنان وانطلق نحوهم كالشبح وهو شاهر سيفه ،فلما ر آه قائدهم ،أطلق ضحكة وإعجاب

بهذا الفارس الذي دفع بحياته لنجدة هذه الفتاة من براثن الأعداء والذود عنها بكل ما أوتي من قوة رغم كثر العدد وحتمية الموت ...

ولكن هل يستطيع هذا الفارس أن يقاتل عشرين محارباً،هذا شيء لا يصدق، هكذا قال قائدهم وقد تعجب لشجاعته وقوته وإقدامه .

وهنا تقدم عدنان وهو شاهر سيفه ،وأخذ يجندل الأعداء ويقتص الرقاب ، ولكن طعنة غادرة جاءته من خلف ظهره .

وإذا بملاك تصرخ وتولول وتجري نحوه وتعانقه بقوة ،ودموعها تسبق كلماتها وهي تقول: سنموت معاً أو نعيش معاً...

حينها بدأ يغيب عن الوعي والموت يتقدم إليه بخطوات ثابتة، ودمه يسقي الأرض التي عانق فيها ذلك الحب والعشق .

هاهم يختطفونهاوهاهو ملطخ بدمهيحاول الصراخ ولكن الجراح كانت ثابته،ثم انطلقت منه صرخة مدوية ...

ملاك ،ملاك ،ملاك ...

شعر عدنان بصديقه عمر وهو يغمز رجله ويقول له :

أيها الفارس انهض أين ملاك هذه ؟!

إنك في كهفك الموحش وهاهو موعد آذان المغرب قد اقترب .

باراس

فتح عدنان عينيهِ ،وهو يردد لقد خطفوها ياعمر أمام عيني ،ولولا جراحي لقتلتهم جميعاً ،أيعقل أن يكون كل هذا حلم،الحمد لله إنه حلم .

قرر عدنان أن يلتقي بملاك ،فلم يعد يطيق الحياة فلقد هام بها حباً وشغفاً،وكتب رسالته والشوق يعصف به ،وفي شارع ضيق يعرف موعد خروجها ترصد المكان ،وعندما أبصرها مشى نحوها مسرعاً وسلمها الرسالة .

قرأت ملاك الرسالة فقد كانت مختصرة جداً والوعد عصراً بوادي الغار ،لم تفكر ملاك طويلاً فكلاهما قد بلغ بهما الوجد مبلغاً عظيماً .

كان عدنان يسابق الريح لوادي الغار ، تمنى في ذلك اليوم أن تكون له جناحان فقد كان الوعد الأول والمصيري لكِلا الطرفين.

جلس أسفل الوادي و أسند ظهره و أغمض عينيه ، يحسب الدقائق ويراها طويلة وكأنها تزحف كالسلحفاة ،وعلى غرة سمع صوتها كأغنية حزينة والخوف بادٍ في عينيها وقالت :

عدنان إنك توردنا المهالك بهذا الوعد ؟

فتبسم ضاحكاً وعانقها عناق المحب وقبل رأسها وقال:

أنتِ في الحفظ والصونياابن ة الأكابر ، إنما هو الحب الذي أحرمني رقادي والمنام .

تسللت دمعة من عينيها كحبة اللؤلؤ وامتزجت بتراب الوادي الذي يفوح عطراً وجمالاً وروعة ،وقالت:

ألهذا الحد تعشقني ياأغلى حبيب ؟!

مسح دمعتها بكفيه ،ونظر في عينيها وقد أحس برجفة ورعشة في كل أنحاء جسمها وقال:

لا أستطيع ياملاك عمري أن أصف عشقي وحبي ،ولكن سأحاول اشرح نقطة من بحر المشاعر والوجدان ،أنتِ عالمي ودنياي ،أنتِ دمي الذي يجري في العروق ،أنتِ أنفاسي بكلمة واحدة أنتِ الروح للجسد.

شاحت بوجهها لشجرة باسقة الطول ، وأخذت زهرة منها وقالت :

انظر لزقزقة العصافير ، إنها تغني وتقيم حفلاً رائعاً لوجودنا هنا ،انظر لتلك المناظر التي تخطف الأبصار .

حبنا سيعيش كالنسر يحلق في سماء الأحلام، ولكن دائماً ما نسمع أن الفتاة تسرق عذريتها باسم الحب والعشق

فهل ستخالف قوانين الطبيعة في هذا العصر ياعدنان؟!

أحس بشعور غريب كاد يفتك بها ،إنه زيٍ نساء ،وفي نفس الوقت يحاول إخماد هذا البركان في نفسه ، وعندما سمع كلماتها الأخيرة فهم المغزى من ذلك .

أخذ يدها ومشيا بين الأشجار ، وطبع قُبلة بين عينيها وقال : لا أصدق هذا الجمال فكلما نظرت إليكِ ازددتِ جمالاً ورووعة كأنك حورية من الجنان ،دعيني أغوص في عينيكِ فإني أرى بحر اً من الأحزان تحاولين إخفاءه ،تكلمي ياملاك عمري بكل همومك وأحزانك ؟!!

رمت نفسها بين يديه وعانقته ودموعها كالسيل الجرار،قال في نفسه :

(أحس بأن هذه الفتاة تعاني من شيء كبير وخطير ،وأن جرحاً عميقاً يحتاج لمن يداويه)...

شعر بدمعة تسقط من عينيها فجأة لم يعرف لها سبباً ،لم تنزل هذه الدمعة في أصعب المواقف فلما هنا تسللت خلسة وبدون ميعاد ؟!

هل عانقت الروح روحها وصارت تشارك من تحب أحزانه وهمومه ؟

ربما هنا نطق بلسان ثقيل وقال:

لقد أحببتي شاباً في الإمارات وعدك بالزواج وبأحلام العصافير،وتعلقتي به كثيراً ثم تركك وحيدة وتزوج بأخرى أليس هذا ما حدث ؟!

ابتعدت عنه بعيداً وزاد خوفها وارتعشت وهي تقول :

هل أنت ساحر هل أنت ساحر ؟!

فلمسكت بيديها أُهدئ من روعها وقلت :

لا لست ساحراً ،ولكن روحي امتزجت بروحك ، فعرفت ذلك عندما نظرت في عينيكِ ، ففيها كتاب مفتوح يسرد قصة حياتك بصمت مخيف .

باراس

كان اللقاء الأول جميلاً ورائع ،ولكن كيف الوصول لأبيها لكي يكون الحب واقعاً ملموساً وحقيقة يعيشها بكل معانيها وصورها...

ما أن تنهد تنهيدة طويلة حتى وجد عمر أمامه مبتسماً ،وهو يردد أيها العاشق أيها العاشق المجنون .

كيف قضيت أول يوماً مع معشوقتك ومن سلبت عقلك وقلبك؟!!

آه ياعمر تلك لحظات هي أسعد لحظات عمري ،لا أدري أي سر خلق في هذه المرأة فعندما تعشقها وتهيم بها لا تستطيع فراقها أبداً،وفي نفس الوقت تشعر إنها كقارورة عطر تخشى عليها من ذئب آخر ، فهي سريعة التأثر والانكسار ،ولكن التي تحب وتتنقل كالغراب على الجيف، هذه ليست بجديرة أن تعطيها ذاك الحب والهيام.

ضحك عمر وقال : إنك بارع في كشف أغوار النفس البشرية ، وعندك قوة وطاقة عجيبة فسبحان الذي وهبك هذا ياعدنان .

لا تبالغ ياعمر ، فقد كدت البارحة أخسر ملاك ، لقد صارحتها ببعض مارأيته في عينيها وكادت تفلت من يدي.

ضحك عمر وقال: نحن نخشاك ياعدنان فكيف بهذه ذات الضلع الأعوج.

كفاك ياعمر لا تزيد المواجع .

تسللت ملاك إلى غرفتها والسعادة تملأ حياتها ، ضحكت ،قفزت ، دارت حول نفسها ،دخلت عليها صديقتها غيداء فوجدتها كالقمر غادر كوكبه ،وهبط للأرض زائراً يحمل بشرى وسعادة لمحبيه ،وما أن رأتها ملاك حتى عانقتها وأخذت تدور بها وتضحك ،الحب يا غيداء جنة الدنيا أنا سعيدة جداً يا حبيبتي ،أنا أسعد إنسانة على وجه الأرض ،آه لو رأيتيني يا غيداء مع عدنان في ذاك الوادي الجميل وحولنا الورود والأزهار ،وأشجار البان ورائحة البشام.

يكفي يا ملاك إني أحسدك على هذا الشاب الذي هبط لكِ من السماء، أيعقل أن يحول تلك الفتاة التي تظل حبيسة غرفتها تلك الصامتة الحزينة إلى فراشة تطير من زهرة إلى زهرة ، مستحيل يقلب حياتك بين عشية وضحاها.

يا غيداء الحب م وسيقى جميلة تعزف لحنً ا رائعً ا وجذابً الحب الرئة التي نتنفس بها ،فإن مات متنا ولو كنا بين الناس أحياء .

هذا يكفي يا ملاك إنكِ تقتليني، هنيئاً لكِ هذا الحب والعشق .

صفي لي هذا العاشق الولهان ؟

تعالي واجلسي، سأحكي لك من الألف إلى الياء .

جلس عبود مع صديقه فهد وقال :

تصدق هذه البنت من يوم جاءت وقلبي لم يرت ح لها، حركاتها ، مشيتها غير طبيعية ، وخائف أن تعدي بنات حارتنا.

نعم ياعبود أنا البارحة سمعت زوجتي تقول لجارتنا : هذه البنت تخرج كل يوم خلسة مع جارنا عدنان ، وبدون حياء ولا حشمة ، والعالم الله لما يختلي بها أيش يسوون ، يارب سترك من بنات ذا الزمان .

يا فهد لا تستعجل، اليوم الخبر بفلوس وبكرة ببلاش ،أنا باراقبهم من بعيد لبعيد وبانشوف آخرتها .

كان عدنان يمشي وهو يفكر في ملاك وفي طريقه وجد فهد وعبود فسلم عليهما ولكن عبود بادره بالسؤال قائلاً :

تصدق يا عدنان أنت ولد حلال وابن أصيل ، وربنا يوفقك في بنت الحلال ، الزواج ستر .

فرد عدنان : إن شاء الله .

وقبل أن يغادر عدنان قال فهد :

بعض الشباب شافوهم الناس مع بنات ، وعود ولقاءات سرية ، ربنا يستر من الفضائح .

عرف عدنان القصد وعرف أن سرهما بدأ ومن أول لقاء يكتشف ، ولكنه لم يعرهما أي اهتمام فالحب أسمى من أي واشٍ حاقد ونمام.

وجد صديقه عمر تحت شجرة السدر ،وبيده كتاب يقرأ فيه ،صافحه بحرارة وسعادة لا توصف ،ابتسم عمر وهو يقول:

- لقد عرفت الآن ماذا يصنع الحب والعشق بالقلوب ؟!
- نعم يا عمر لقد قابلتها ، كانت أجمل مما تصورت ، وددت ألمس شعرها الذهبي وكأنه خيوط أشعة الشمس وقت الظهيرة ،عيناها ساحرة تجذبك من بعيد تجعلك تغوص فيها وتبحر لعالم آخر ،وودت أضمها لصدري أعانق تلك الشفاه ،قامتها يا صديقي كالخيزران ، بارعة القامة هيفاء القوام ،لم أر مثلها جمالاً وروعة أبداً في حياتي .
- يكفي يا ع دنان إنك تصف لي حور العين ، ألهذه الدرجة وقعت في غرامها وعشقها؟
- ياعمر هي ملاك اسم على مسمى ملاك هبط من السماء ،هذه ستكون لي ولن يأخذها إلا أنا مهما كان.
- على رسلك يا عدنان إني مشفق عليك ،أهل هذا الزمان يجرون وراء النقود والجاه والسلطة ، وليس الحبوالقيم والأخلاق ،وأنت رجل فقير وهي بنت ذات الحسب والنسب والمال وكلاً سيتنافس عليها.

باراس

- ياعمر هي ليست بضاعة تباع في سوق النخاسين ،هي بشر وأنا بشر ، أف لهذه العادات والتقاليد ،لمَ لا يرحمون عشقنا وحبنا.
- ياعدنان هون ع ليك ستصلح الأمور ويفرجها الرحمن.
- ماهذا الذي تقرأ ؟!!
- إنها قصة حب وعشق وغرام تشبه قصتك مع ملاك.
- العشق بحر عميق فذاك عنتر وعبلة ، وقيس وليلى،واليوم أرى وأسمع عشق ملاك وعدنان فهل ستدون عشقك وحبيبتك في رحلة العشاق ،وتبحر إلى كل عاشق في مشارق الأرض ومغاربها ،الفتى الحضرمي يعشق فتاة الوادي ذات الحُسن والجمال والبهاء.
- نعم يا عمر ستكون قصتنا أجمل وأروع مما سمعت والأيام بيننا دول .
- على رسلك يا عدنان إلى أين أنت ذاهب ؟!!
- لا أدري أشعر بعبرة تخنقني أريد أن أختلي بنفسي

****

- أرجوكِ يا أمي لقد أحببته حباً جماً ، وتغلغل في أعماق قلبي ساعدني يا أمي ؟!!

باراس

- يا ملاك عمري أنت شابة جميلة ،أخشى عليك من ذئاب هذا العصر تفتك بك وحينها ستكون فضيحة لكِ ولنا ولأبيك،أنتِ تعرفين عاداتنا وتقاليدنا ،ومن يدري ربما هذا الرجل كالثعلب يحوم حولك ،فيأخذ عذريتك وحينها سيرميك كالعظم ، أما كفاكِ ذلك الشاب الذي أحرق قلبك،يا قرة عيني ، الفتاة تنخدع بالكلمات الجميلة وتذوب كالملح في الكأس ،وعندما يخبو فارس الأحلام بها ، ينهش لحمها ويتركها فريسة لكل سبع ضال،وحينها لا ينفع الندم .
- يا أمي ، عدنان ليس كما تظنين،إنه رجل خلوق وطيب وحساس ،المشكلة في أبي كيف نستطيع إقناعه بهذا الشاب وهو رجل فقير ،وأبي يريد أن يبيعني كبضاعة لمن يدفع أكثر ولو كان شيخًا كبيرًا.
- لا تخافي يا ابنتي سنفكر في حل يجمع بينكما ،نامي الآن ودعي الأقدار تأخذ مجراها.

مرت ثلاثة أيام وكأنها شهور ،لقد تاقت نفسه لرؤية ملاك لقد تغلغل حبها في قلبه ،وصارت كالروح ملاصقة له ،أخذ يتحين الفرص ويمر بجانب بيتها لعله يراها صدفة ،وكم كان حظه سعيداً ، لقد كانت خارج ه لبعض شأنها فغمزها وأشار للغار ،ومر سريعاً من أمامها ،فهو يعلم بأن العيون بدأت تراقبه وتتحين الفرص للنيل منه

،وقتل حبهما بدم بارد، ظل ينتظر في كهفه ،الذي أخبر به ملاك قلبه وقرة عينه،إنها تعرفه جيداً يقع في سفح الجبل وبعيداًعن أعين الناس ،وله طرق ملتوية من الصعب لأي إنسان الولوج إليه؛لأنهم يعرفون أنه الموقع المفضل لعدنان وصديقه عمر ،ولقد حذر عدنان منه أي شخص يقترب منه؛لأنه ملاذه وبيته الذي عاش فيه سنوات وسنوات .

وعند الظهيرة رأى عدنان ملاك تأتي إليه متخفية ،لقد كانت ذكية فقد سلكت عدة طرق ،وكأنها تريد جلب الحطب لبيتها ،تقطع من تلك الشجرة عوداً ومن تلك عودً ا،رآها عدنان فخفق قلبه ، وأحس بنشوة من السعادة لا توصف ،رآها في ثوبها الأحمر المطرز الجوانب ،وتلتف بحزام من الفضة يتلألأ كوجهها الجميل ،الذي يتراءى للناظر كالنجم يخبو ساعة ويظهر ساعة ،من تحت ذلك البرقع البدوي الذي تلبسه ،كانت أشجار البان والبشام والقتاد ،تحيط بها كملكة حولها الخدم والحشم،وأميرها منتظر على سفح ربوة ، يا له من منظر جميل وجذاب ،نزل إليها مسرعاً نسي نفسه ،كادت عيناه تدمع من الفرح ،لقد كان مجروحًا ومحرومًا من كل شي ء،الحنان والحب والعطف ،نفسه وقلبه خاليةٍ من كل ذلك ،وها هي ملاك تسد ذلك الفراغ وتروي عطشه.

فما أن رأته مسرعاً نحوها ،حتى أيقنت أنه يحبها حباً فوق الخيال ، ويعشقها عشقاً لا توصفه الكلمات ،رمت

حزمة الحطب من ذراعيها وتسمرت مكانها كأنها غصن البان ،اعتنقها دون شعور منه ،ضمها إليه بقوة وبحب وعطش شديد ،أحس بدفء وشعور غريب ،أحس بأنه ولد من جديد،ظلت صامتة وهي تنظر إلى عينيه التي بدأ الدمع منها يحوم في مقلتيه،شعرت ولأول مرة في حياتها بسعادة ونشوة لا توصف ،كان المكان يلفه أشجار كثيفة ،والجو من حولهما جميل ،رفع يديه وبدأ يتحسس وجهها من خارج البرقع ،أحس برعشة في يديه ،وأحس بها وهي ترتجف كسنبلة في يوم ريح شديد،كشف عن برقعها فتسمر مكانه من شدة جمالها ،كأن وجهها قطعة من القمر أشد بياضاً من الثلج ،وعيناها كا لزمرد يضئ ،وشفتيها أشهى من العسل ،كاد يُقبلها قُبلة ،ولكنها تراجعت للخلف وهي ترتجف من شدة الحياء ،عرف بأنه أن تمادى سيخسرها للنهاية،فتوقف وقال :

أي جمال تملكين وأي عينان أرى ،أكاد أموت يا حبيبتي عطشاًلهذا الحب وهذا العشق الذي أحرمني رقادي وأسهر ليلي ؟

ردت عليه ملاك و م ازال برقعها مرمى على الأرض نسيت نفسها،وكأنهما وحيدين في هذا الكون لا أحد سواهما

- عدنان لا تخدعني بكلماتك لا ترم ني وأنا الزهرة التي عشت عمري لا أعرف شاباً ولم ألتقِ بأحدٍ ، غير الذي تعرفه عني ،فتلك تجربة مررت بها

مؤلمة ومحزنة ،فلا تحرق قلبي بزيف الكلمات وعشق كاذب ،ثم أجد نفسي أبكي على زهرة شبابي ما حييت ؟

- أرجوكِ يا ملاك تفهميني ، أنا حياتك وقلبك ،ماذا أفعل كي تثقي بي وإلى الأبد ؟!!
- تطلب يدي من أبي وعلى سنة الله ورسوله ، أريد هذا ومن هذه اللحظة.
- ولكن إن رفض أب وكِ هل أموت بحبك وعشقك ؟أنا لا أستطيع أعيش لحظة بدونك،أرجوكِ تعالي للكهف ونكمل هناك.
- ولكنني خائفة أشعر بأنك تخدعني والمكان موحش هناك وبعيداً عن قريتنا .
- هذا عهد الله مني يا حبيبتي أن لا أنتهك عذريتك ولو اجتمعت شياطين الإنس والجن ،ولو لم تكوني لي ،إذا الأقدار لم تكتب لحبنا النجاح والتوفيق.

عانقته ملاك بدون شعور ،أحست بالأمان ولأول مرة في حياتها مع رجل غريب ، لم تعرف طباعه ولا خفلياه ،نزلت دموعها بدون قصد ،كانت دموع السكون والوثوق بعدنان من نزغة الشيطان،ضمها إليه وقال لها:

- لا تخافي يا ملاك عمري سنبذل كل ما بوسعنا لنجتمع معاً، وأمام الناس كلهم بلا خوف وبلا خجل ولا حياء.

ثم ارتقيا الجبل ،كانت الطريق وعرة وشديدة الانحدار،ولكن عدنان يعرف طريقاً سرية لا يعرفها إلا هو وصديقه عمر ،فدخل بها تحت صخرتين كبيرتين ،كانت ملاك خائفة ومرعوبة بعض ال شيء ... إلى أين عدنان يأخذها هل أضمر له ا مكيدة فالزمن لم يعد كما كان ،فالحضرمي كان أصيلا لا يخون ولا يبيع أمانته ،ولكن الزمن تغير وتغيرت الأخلاق والمبادئ والقيم ، وضاعت الأمانة إلا في آحاد الناس ،كانت ملاك تغوص في تفكير وهواجس شيطانية . ولم تفق إلا على صوت عدنان .

- هذا هو كهفي وملاذي أيتها الغالية ،هنا أشعر بقمة السعادة ،هذه الجدران تكلمني عندما أكون وحيداً بلا أصدقاء بلا أصحاب ،لا أعرف أخً ا صدو قً ومحبًا إلى قلبي ،غير عمر فهو صديقي ورفيق دربي،سره سري وحزني حزنه وسعادتي سعادته ، هو كل شيء عندي.

نظرت ملاك بإعجاب لذلك الغار الصغير ،كان سقفه كالقُبة ، وكأنه محراب للصلاة كل شيء فيه يوحي بالهدوء والطمأنينة وراحة البال .

- لا أدري يا ملاك لماذا هذه العادات والتقاليد تقيدنا ،تكبلنا بالسلاسل نظل في خوف ورعب نلتقي وقلوبنا ترتجف ،حتى الحب والعشق والرومانسية محرومين منها ،أفٍ لهذه العادات والتقاليد ،نحن

نحب بعضنا ولا يمكن أن نفترق أبداً ،سأرفع صوتي وليسمع العالم بأسره، ملاك هي حبيبتي هي روحي هي حياتي ،سأتزوجها رغم كل الحاسدين رغم أنف أبوها وأمها .

وهنا وضعت ملاك يدها على فم عدنان وهي تقول :

- ألهذا الحد تحبني وتعشقني يا عدنان ؟!!
- بل ما تشعرين به ماهو إلا قطرة في بحر ،مما في قلبي وعقلي لكِ يا أغلى الناس وأحب الناس إلى قلبي .

أخذ برأسها ورمى البرقع ،وضمها إليه وفي صدره أزيز كأزيز النحل من دموع ونحيب ،أحس بدفء وشعور ملأ قلبه سعادة وبهجة ، بدأ يتحسس خديها يغوص في عينيها ،كلما نظر إليها زاد حبه لها وزاد شوقه ، بدأ يداعب شفتيها بيديه ،ذابت كالملح بين يديه ضمها أكثر إلى صدره، قبلها قُبلة غاص بها في خديها ،كأنها قطعة من الحرير ،شعر برجفتها ، يكاد يسمع دقات ق لبها خامرها شي ء من الخوف ، قبلها في شفتيها سقطت إلى الأرض حاولت مراراً تدفعه ولكنه كان غارقاً في عالم آخر ، صرخت وهي تقول :

- أين عهدك ياعدنان ؟!!

أفاق كالمذعور ارتجفت يداه ،صمت تسمرت عيناه وهو يردد "ما قصدت خيانة عهدي ،ولكن حبي وعشقي

لكِ أنساني نفسي" أرجوكِ يا ملاك سامحيني،أحست بصدق مشاعره فابتسمت وقالت:

- لقد كان لقاء جميلا ورومنسياًلن أنساه أبداً.

فعانقها عناق العاشق الولهان،وهي تضحك وتقول :

- حان وقت الفراق يا حبيبي قبل أن يرانا أحدهم .

أخرج عدنان من جيبه رسالة حب وعشق وأعطاها ملاك وقال لها:

- عندما تكونين وحدك افتحي الرسالة وأعطني ردك بكل صدق ،غداً سوف أمر على ذلك الجدار الذي أخذت منه أول رسالة.

هزت رأسها وقبّل خدها قُبلة تنم عن حب وصداقة لن تنتهي بسهولة ،تسللت بصعوبة من قمة الجبل إلى أسفله ،وهو ينظر إليها ثم أخذت حزمة الحطب واختفت بين الأشجار.

دخلت ملاك إلى غرفتها والسعادة لا تفارق محياها ،تقفز من ركن إلى ركن وبيدها الرسالة ، وفي هذه اللحظة طرقت غيداء الباب ، فأذنت لها وهي تقول:

- لقد قابلته يا غيداء هذا الرجل ملك قلبي وسلب عقلي ،ليتكِ رأيتهِ وهو يُقبل خدي ويحضني كالطفلة المدللة إنه يحبني يا غيداء؟

باراس

- على رسلك يا ملاك إن حبكما قد شاع بين النساء ، وأخشى أن يتنامى إلى مسامع أبيكِ فيحصل مالا تحمد عقباه؟

- هذا لا يهمني يا غيداء نحن نحب بعضنا ،ولن يفرق بيننا أحد، فليمت الحاسد الشاني.

- وما هذه الرسالة أيتها العاشقة ،تعالي نجلس ونقرأ ما يقول العاشق الولهان :

(دعيني أقبل خديكِ يا حبيبتي ،لعلي أنسى جراحي وآلامي ،دعيني أطير بكِ إلى ملكوت السماء ،ونفرش جناحينا لنرى الدنيا جميلة بعيوننا ، رغم الأحزان والهموم ،دعيني أ حملكِ على بساط الريح ،ونحلق فوق الغيوم ونجتاز الجبال والسهول ،دعيني نمسح دموعنا وأحزاننا،أنا يا ملاك عمري: قصة ألم وذكرى موجعة ما تحملها ملف،جفت كل أقلام عمري لتحكيها،دعيني أغوص في عينيكِ ، وأبحر فيها بقيّة عمري ،ملاك أنت آخر نفس في حياتي ،إما أكون أو لا أكون ،أنا من قتله طيبته وحبه،أنا من أحب بقلبه ومشاعره ووجدانه ،وأعطى بدون مقابل ،ثم ماذا ؟!! باعني كل من أحب ،وكل من كان أعز من حياتي ،كلهم ذهبوا ،ولم يذكرون ذاك الفتى الذي يتذكرهم كل ساعة وحين ،مرت سنوات وبيني وبينهم ،مسافات تعد بالأصابع،ولكن لن أظل لهؤلاء ناكري العيش والملح، أتذكر أيامهم ،سوف أمسحهم من قلبي ومن عقلي

ووجداني ،سيظل فيها إنسان واحد وملاك واحد وجوهر ة قلبي وحياتي ،أنت يا ملاك فلا تقطعي آخر نفس أتشبث به ،فإني غريق في بحر حبك وعشقك ،حبيبك دوماً عدنان)).

- ما أجمل يا ملاك هذا الكلام ، إنه كالشعر ينساب جمالا وروعة ،هذا الشاب يستحق هذه المغامرة من الحب والغرام ، ليتني أجد شاباً مثله يبادلني هذا العطش وهذا الوفاء .
- إنه يا غيداء شاب مثقف وواعٍ، ولكن العادات والتقاليد تذبحنا ،كيف نستطيع أن نختار من نحب دون أن نرى ونسمع منه ونعرف ونختبر طبائعه وسجياه ؟!!
- دعيني يا غيداء الآن أكتب له رداً يليق برسالته ،فهلا أغلقتي الباب وأنت خارجة؟
- سمعاً وطاعة أيتها العاشقة ،أكاد أسمع قصة حب تماثل قصة قيس وليلى وداعاً.

(٢)

ذهب عدنان إلى صدي ق عمره فوجده في بيته يصلح بعض شأ نه ،فما أن رآه عمر حتى عرف أنه يريده ، فخرج وبيده سلاحه وهو يقول لأمه :

- جهزي لنا يا أمي الطعام سنذهب للصيد اليوم ولن نعود إلا عند الغروب ؟

ضحك عدنان وهو يقول :

- وكأنك تقرأ ما في قلبي ، فعلاً نريد القناصة اليوم ،هيا جهّز لنا بعض الخبز وما يلزم للرحلة فإنني في شوق لها .
- على رسلك أيها العاشق الولهان لحظات وننطلق .
- اسمعا يا ولدي ،إياكما واللعب بالسلاح ، وأحذرا من النزول في الأودية الصعبة ،ولقد جهزتُ لكما عُشبة ترياق السموم لأي لدغة من أفعى سامة أو عقرب.
- لا تخافي يا عمتي هذه ليست المرة الأولى التي نذهب فيها فعلام التوجس والخوف؟!!
- ستظلان أطفال في نظرنا مهما طرّ شاربكما حتى ولو أنجبتم الأطفال فأنتم صغار في عيوننا رافقتكم السلامة .

باراس

- عرِجا على وادي اليمامة ،فهناك أرانب كثيرة وطيور الحجل .

وبعد رحلة على الأقدام متعبة ، شاهدا غاراً ا جميلا ومشرفاًعلى الوادي ، فقال عمر:

- حان وقت الراحة يا صديقي وهذا هو المكان المناسب، والآن أخبرني وبالتفصيل الممل أيها العاشق عن قصة لقائك الأخير ؟

- آه يا صديقي الحب نسمة الحياة ،كنت ميتاً لا روح فيَّ ،بمعنى أصح روح تسكن قلب جماد ،وفجأة جاءت هذه الملاك ،لتنفخ الحياة والأمل في شخص جرحته السهام من كل حدب وصوب ...
- إنك يا عدنان تسطر قصة حب وعشق لا مثيل لها في حضرموت الحاضر ،وربما الماضي أيضاً .
- يكفي مدحاً يا عمر ،آه لو رأيت عينيها وذاك الخد العنابي ،وتلك الشفتين العسلية ،وذاك القوم كأنه غصن البان يتمايل .
- ما أجمل وصفك يا عدنان لقد شوقتني لكي أراها ،أهي حسب الوصف ،أم حبك وعشقك لها جعلك تراها ملاك فوق البشر .

- لن تراها يا عمر ،فإني أغار عليها من تلك الأقداح التي تُقبل ثغرها ،أغار عليها من ذاك النسيم وهو يداعب أعطافها ،وكما قال الشاعر عن محبوبته :

أغارُ عليها من أمها وأبيها
ومن خطوة المسواكِ إن دار في الفمِ
وأحسدُ أقداح تُقبل ثغرها
وأنا أحسد الأرض التي تمشي عليها ، والشمس التي تستظلُ تحتها .

- أنت تسحر بكلماتك هذا الصخر الجلمود،وأخشى أن ينطق ويتحول لحورية جميلة.

ضحك عدنان ،وعند الغروب عادا كلا لبيته .

ظلَّ عدنان يفكر في ملاك هل أحبته هل وثقت به ؟!
أسرع عدنان ليجد الرسالة في الجدار ،فطار بها فرحاً وسعادة إلى غرفته وفتح الرسالة :

(قرأت رسالتك يا قرة عيني ،ودمعتي تسيل على خدي،أحسست فيها بكل آلامك وأحزانك،أعرف بأن كلماتك هي عنوان قصة ألم ،وأنا مثلك كأننا روح ان متشابه ان،لا تحزن يا حبيبي ،ودع الأحزان جانباً فهناك روحاً ستعانق روحك وتسبح بها في ملكوت الفضاء ،ارمِ الأوجاع كلها خلف ظهرك ،ارمِ قاذورا ت مصالح أصدقائك في زبالة الماضي،ستولد من جديد طالما كانت ملاك معك،اعتبر هذا

باراس

العالم لا أحد فيه إلا ملاك وعدنان ،هذه الجبال والسهول بخضرتها وجمالها الجذاب وزهورها ،هي لها سنمرح فيها ونجري عليها ،ونضحك ونبتسم كطفلين معاً ، الأوجاع مهلكة ومدمرة ،ولن يأسف عليك أحد ،ولن ترى دمعة واحدة من أحد،فقط ابتسم ،سامح دائماًوابحث عن أجمل ما في هذه الحياة ، فهو الذي يبقى وغيره يفنى ويفنيك ، متع ناظريك بـالأزهار والورود ، والماء والخضرة وجمال الطبيعة ،واستنشق عبق ريحها وجميل شذاها ،حبيبي وروحي سأظل معك ،عهد علي ولن أقبل سواك ،فقصة حبنا سيتحدث عنها كل البشر ،من يقطع حبنا عليه بقطع وريدنا ،أرجوك ابتسم ،ابتسم ،وامسح كل أحزانك ،طالما كانت ملاك على قيد الحياة ،توقيع بالدم الأحمر وعروق الوريد،ملاك).

لم تكتحل عينه بالنوم تلك الليلة ،ظلت الرسالة على صدره يقرأها مرات عديدة ، كانت بلسمً ا لكل جراحاته وأحزانه .

- لا أصدق كيف جاءت ملاك غرفتي ومن أين دخلت ؟!!
- يا حبيبي هل يزعجك وجودي ؟أردت أن أكون بقربك في صحوك ومنامك لن نفترق أبداً.
- ولكن كيف وصلتي لغرفتي ،من فتح لكِ الباب؟!!

باراس

- لقد اخترقتُ حواجز المادة، لا فاصل بيننا لا أجساد ولا جماد،سوف أطاردك في منامك ويقظتك ،حبك هو الذي جعلني أطير إليك في لمح البصر .

كان الضوء شبه خافت ،هناك رياح تسمع في الخارج ،وصوت يتقطع خلف عدنان ،مازالت ملاك واقفةعند النافذة ،بثوبها الشفاف وشعرها الذهبي ،ووجهها يتلألأ كالقمر ،أحس عدنان بخوف ورعشة تتسلل إلى قلبه ،لم يستطع إزاحة الغطاء عن نفسه ،لا يُرى إلا وجهه،ومتمسك بكلتا يديه بلحافه ،وعند هذا السكون تقترب ملاك منه ،ويزداد خوفه أكثر ،تسمرت عيناه ،كاد الدم يتجمد في رئته وعروق دمه ...

- عدنان أين حبك لي ماذا جرى لك ؟!!

وبصوت يتقطع أقرب للهمس:

- أنتِ لستِ ملاك أنتِ جنية ،نعم جنية الوادي الذي رأيتها مع الأغنام ، في وادي الجن ،أرجوكِ اتركيني لحالي ماذا تريدين مني ؟!!

نظرت إليه والشرر يتطاير من عينيها، ورائحة جميلة تفوح منها عطرت المكان:

- عدنان .. لقد كان حبك مسرحية قذرة ، وكلماتك كالطعم لي ،تريد أن تأكل لحمي بشهوتك ونزوتك،ثم ترميني للكلاب الضالة؟

باراس

- لا هذا غير صحيح أنا أحب ملاك وأعشقها ،أنتِ صورة ملاك تتمثلين بها ،تريدين أن تفرقين بيننا .
- أسأل عدنان؟!!يا عدنان.. أما أنتِ فمخادع.

وهنا يخرج ضحكة متقطعة وابتسامة مرعوبة:

- أنا عدنان أيتها الحمقاء...

لم يكمل جملته حتى خرج من الجدار نفس صورته وكأنه قرينه وقال :

- نعم يا ملاك لقد خدعتك ، كل تلك الكلمات ورسائل الحب والغرام تمثيلية ،كان الغرض منها أن اصطادك ،لقد وضعت لك الشباك ورميت لك الطُعم ، وها أنتِ كالطير المذبوح في القفص ،أنا أكره النساء لأنهن لا ثقة فيهن ،أنا يا ملاك أخدعكِ وأنتِ الضحية.

صرخ عدنان:

- مستحيل أنتَ أنا ،ولكن أنا لست أنتَ ،ملاك هناك في بيتها ،أنتم جن أنتم جن .

يلتفت عدنان ويرى ملاك تأتي كالطيف من الجدار المقابل له ،وهي تبتسم ولكنها ابتسامة الليث الغاضب:

- لماذا يا عدنان تبيعني ،لقد أحببت ك وعشقت كلماتك،وكنت مستعدة أبيع الدنيا لأجلك ؟!!

قفز عدنان من فراشه يحاول الإمساك بملاك...

باراس

- عزيزتي ملاك أنا عدنان ،أنا روحك تعالي يا حبيبتي ،ضميني بصدرك ، لا تسمعي لهؤلاء حبنا أغلى من كل الحساد ،لماذا لا تنظرين إليَّ لماذا تذهبين،ملاك،ملاك، ملاك ...
- اهدأ يا عدنان مابك يا ولدي، ما هذه الكوابيس التي تحلم بها،لقد عرفت قصة عشقك بملاك ،ألهذا الحد بلغ بك الحب والهيام ؟!!
- نعم يا أمي لقد تسللت إلى عقلي واختلط اسمها ورسمها بدمي هي روحي .
- سأحدث أب اك بالأمر ، لعله يذهب وي خطبها لك وتنتهي معاناتك يا ولدي،إنك تحرق قلبي بأوجاعك وآلامك ؟!!
- أبي لا لا ،أبي يكرهني من زمان ،أبي هو مصدر آلامي وأحزاني.
- لا ترفع صوتك يا ولدي لو سمعك قد يطردك من البيت.
- تسيل دموع عدنان كالسيل ،لم تتمالك أمه نفسها فتبكي بحرقة وتغادر الغرفة.

لم ينم عدنان تلك الليلة ،وما أن لاح أول خيوط الفجر ذهب للمسجد وصلى ، وجلس يتململ في فراشه ، يحسب ساعات شروق الشمس، يشعر بضيق يخنقه ،لا يحب البيت ولا يحب أن يرى أبله، ونظراته كالسهام نحوه ،هناك شيء

غريب بينهما ،يحاول عدنان بكل الطرق أن يكسر هذا الحاجز ولكن لا فائدة!!!

تناول فطوره ثم ذهب لصديقه عمر ،فوجده جالساً يلاعب أخ اه الصغير ،فناداه من بعيد ،عرف عمر أن صديقه في هم فأسرع إليه.

- مابك ياعدنان خير ؟!

لم يتكلم عدنان لكنه طأطأ رأسه ود موعه سبقت حديثه،عرف عمر بأن عدنان في نفسه شيء ما ،يريد أن يبوح به.

- هيا بنا يا صديقي إلى الغار هناك سنفتح هذا القلب وند اوي ما فيه من جراح وآلام ؟ابتسم عدنان مع إطلاق تنهيدة طويلة.
- هاقد وصلنا إلى غار السعادة والآن ما بك يا صديقي؟!!

جلس عدنان ووضع كفيه على وجهه ودموعه تتساقط ، كحبات الثلج على خديه ،وعلى أرضية الغار ،أحس عمر بأن صديقه جريح وجرحه عميق ، هل هو الكابوس نفسه يا عدنان الذي يأتيك كل يوم ؟!!

هز عدنان رأسه:

- نعم يا عمر هو نفسه ، ليتني مت ليتني كنت هباء منثوراً .ماذا فعلت لهذا الأب القاسي ،أليس عنده ضمير،لقد حرمت العطف والحب والحنان ،أعيش

في كابوس مخيف كلما تذكرته ،أشعر إنني أعيش مع شيطان.

- اصبر يا عدنان وربنا سيزيح هذا الجفاء بينكما ؟!!
- اصبر يا عدنان ،اصبر ياعدنان، إلى متى أصبر يا عمر لقد طفح الكيل ،دموعي نفدت من البكاء والنحيب ، أشعر بأن قلبي كله مثقوب كالقربة ينضح دماً،أصبحت كتلة من لحم ،استعدى عليَّ كل أخوتي ، وجعل بيني وبينهم حاجزً ا،وزرع بيننا بذور الشقاق،أمام الناس يظهر كالحمل الوديع ،وأنا كذلك، كلانا يكتم في نفسه .
- فعلاً يا عدنان ما يفعله أبوك شيء رهيب وغلظة لا مثيل لها ،والله لو كان جبلاً لهدته.

أول مرة يبكي عمر ويتأثر لقصة صديقه عدنان ساد الصمت لحظات ،فمسح عدنان دموعه وابتسم وهو يقول:

- لم أحكِ لك يا صديقي غير نقطة من بحر م م ا أعانيه؛لهذا أحتاج إلى ملاك، أحتاج إليها.

وهنا بكى عدنان،وأسند ظهره للجدار ، وضرب بكلتا يديه على جدار الغار:

- نعم أحتاج إليها لتضمد جراحي ،لتمسح دمعتي ،لكي أستمر في الحياة،أحتاج لحبها وحنانها ، لقد حرمت من كل شيء يا عمر ،إنني أتظاهر بالسعادة ،ولكن عندما أكون وحيداً أبكي بكاء مريراً.

باراس

أنا آسف يا عمر لقد أتعبتك بشكواي ،ولكن إن لم أخرج ما في نفسي سأنفجر.

- بالعكس يا عدنان هذا نفسياً صحيح ، ويساعد الشخص على الا ستمرار في الحياة ، فالكمت يولد الانفجار.

هيا بنا لعلك ترى ملاك العمر في طريقنا ، انس أحزانك ومآسيك،وابدأ يوماً جديداً.

******

جلس عدنان وصديقه عمر ليسمعا ما يرويه لهما جابر ،عندما ذهب إلى الجبهة ، وذلك زمن الحر ب بين شمال اليمن وجنوبه عام ٩٤م:

- لقد تخرجت من الثانوية العامة بتقدير جيد ، وذلك عام ٩٣م، فنصحني أحد الأخوة بالتوظيف في السجل المدني، طبعاً تحركت الواسطات،وبعد مشقة وتعب توظفت كجندي أساسي في الشرطة.
- ولماذا تختار العسكرة أيها المحظوظ وعندك الطب والهندسة ؟!
- يا عمر ليس هناك في ذلك الوقت غير التربية والتعليم،ومعهد مهني بخلف ، وخاصة بحضرموت حسب علمي،فاختصرت الطريق للعسكرة ،رغم أن أمي كانت معارضة على ذلك القرار.

باراس

- أكمل يا جابر أكمل وبعد ذلك ؟

- نعم، بعد ذلك يا عدنان مرت علي أشهر جميلة مع التدريب ومعرفة الأصدقاء ،ثم حصل خلاف بين قيادتنا المتمثلة بالرئيس علي سالم البيض ،والرئيس علي عبدالله صالح ،وطال الخلاف وتوسعت الهوة بينهما ، وأعلنت الحرب بين الشطرين ،فلانسجام بين الطرفين،ومحبة بالصميل ما تصير.

لمَ لا يفكر جيداً الرئيس علي سالم البيض ، ويدرس طبائع القوم من كل الجوانب ؟ وهذا ما قاله بالضبط يا عدنان الرجل المفكر حيدر أبوبكر العطاس،ولكن وقعت الفأس في الرأس وكما يقول المثل الشعبي عندنا (مغني عند صقع).

كنت حينها في مهمة أنا وزميل لي في المحكمة بالمكلا ،لأرشفة بعض الملفات ،فجأة دخل علينا جندي وقال تحركا للمعسكر فوراً،ذهبنا فوجدنا كافة القوة جاهزة ، اصطفيت مع الضباط نتيجة التوتر الذي أصابنا.

فرد عمروهو يضحك :

- لقد أصبحت ضابطاً في ليلة وضحاها.

- فنظرت عن يمني فإذا الضباط ينظرون إليَّ ،نظرت عن يساري وإذا بالقائد يخرج الشرر من عينيه كأنه

الشهب ، فقفزت لموقعي الرسمي ،وهنا أمر القائد بالتحرك للجبهة بعتق (شبوة)، ولم نخبر أهلنا أبداً،إننا ذاهبون للموت في حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل ،بسبب غباء قيادتنا وعقلها المتحجر والمنغلق عن العالم ،لماذا منذ البداية دخولكم بوحدة نهايتها حرب طاحنة؟!!

نكمل يوم آخر يا أصدقائي الرواية ، فقد تأخرنا كثيراً الساعة تشير للحادية عشر ليلاً.

- لقد شوقتنا كثيراً يا جابر نريد التفاصيل غداً.
- إن شاء الله يا عمر.

(٣)

باراس

دخلت سهام وفي يدها رسالة تحاول تخفيها من سلوى ، ولكن صديقتها سلوى كانت ذات عين ثاقبة كعين النسر ،فضحكت وجرت إليها وهي تقول :

- أهي رسالة عشق وغرام ؟!!
- نعم يا سلمى إنها من عمر ،ولكن هذا الموضوع سري لا أحد يعرف به ؟!!
- سري ولا أحد يعرف به وخبركما في الصحف والجرائد ،بالأمس كنتِ معه في الساقية ،تتسللين كالقطة في جنح الظلام،ماذا تفعلان أما تستحين أن يراكِ أحد ؟!
- إنه الحب والعشق يا صديقتي .
- لا هذا ليس حبًا بل نزوة شيطان، أنتِ جميلة وذات قوام ممشوق ،لن يتركك أي شخص دون أن ينتهك عذريتك.
- ما هذا الكلام يا سل وى هل أنا فاسقة لهذه الدرجة عندك ؟!
- سامحيني يا سهام ولكن رأيتكِ مع أكثر من شاب ،يلعب بك وأنتِ تعرفين أنهم يريدون شهوتهم فقط ،وأنتِ تشجعينهم على ذلك بلبسك ومشيتك ونظراتك الساحرة؟!!

باراس

- وماذا أفعل وزوجي بارد كالثلج ،تزوجني ولم يمر عليه شهران حتى ذهب للمدينة،يعمل في دكان وله الآن سنة، كأنه مهاجر ؟!!
- هذا لا يجعلك تبيعين شرفك لمن هب ودب، وتجلبي لقبيلتكِ العار والشنار ،والسمعة السيئة ؟!
- يكفي مواعظ يا سلمى ،أنتِ بالأمس جئتِ ومعكِ شهران هنا،ولم تذوقي ما نذوقه من قهر وعذاب ، معنا أزواج لا يعرفون الحقوق الزوجية.

******

- ياعدنان هذا سر بيني وبينك لقد أعجبت بجسمها ،سهام ياعدنان تحرك شهوتك بقوة كل يوم تخرج أمامي وتسرح بأغنامها ،وتلبس ثوب أحمر يُحرك النزوات الجنسية، لم أستطع أصبر كل هذه السنين.
- يا عمر كلنا نمر بلحظات قاتلة مثلك ،أنا نفسي لقد داعبتها أكثر من مرة ،نسيت نفسي وما أدعو له من مكارم الأخلاق ،مشكلتي يقبع في باطن جسدي شخص آخر شيطان بشري ، زير نساء ، ذئب بشري لا يرحم عندما يرى امرأة حسناء ذات قوام وجمال ،وعينان عسلية ،حينها لا أتمالك نفسي تثور كل غرائزي.

باراس

- ما هذا يا عدنان لا أصدق كيف تعيش لحظاتك يا زير النساء مع ملاك الجمال والقوام ،والجسم المرهف ،تكاد عيوني تخترق جسدها ؟!!
- إياك يا عمر تقترب منها فوالله لو حصل لها مكروه سأقتلك بيدي ؟
- لا لا لا تخاف هي أصيلة وذات معدن ،لا تفهمني خطأ مجرد مزاح يا صديقي.
- إنها روحي وعقلي ،وكل شيء يا عمر .
- يا عدنان ملاك ليست مثل سهام أبداً ، وإن كنت أخشى أن تعديها بسوء أخلاقها .
- لا تخف لقد فكرت في ذلك ، ثم إن ملاك لا تحتك كثيراً بسهام، لقد نصحتها وعاهدتني على ذلك .
- لقد كانت قريتنا لا تسمع فيها أي همس وغمز ،إلا بعد ما جاءت هذه الشيطانة ، إنها مثل الجرب (فالصا حب ساحب)سحبت خلفها ثمان ي نسوة ،وللأسف كلهن متزوجات ، والسبب الرعي بالأغنام،المرأة لا يصلح لها الرعي بالغنم ،وتغيب خلف الجبال والهضاب ، فهناك يكون الفسق والفجور ،ويتلاعب الشيطان بهن ، أو تكون هناك مراقبة عليهن، وتكون مراعي الغنم معروفة وتحت سمعهم وبصرهم ، هذا ربما يخفف من نزغات

الشيطان.والسبب الثاني هو أزواجهن وكثرة غيابهم غير المبرر ، والسبب الثالث العادات والتقاليد هي سبب انحرافهن ، فترك الحبل على الغارب للفتيات والمتزوجات ،وكثرة الثقة العمياء هي سبب نزع الغيرة ، وانزلاقهن في وحل الفسق والفجور ، والسبب الأخير الضعف الجنسي عند بعض الرجال، فيطول غيابه بحجة طلب المعيشة، وغياب أكثر من ستة أشهر ،وفي نفس البلد هو جريمة وحمق في حق نفسه وحق زوجته ، ويتحمل مسؤولية وقوع زوجته في الحرام والانحراف.

- يا لك يا عدنان من داهية حسبتك عاشق وشاعر فقط، وإذا بك ذو مواهب متعددة، وعين ثاقبة وحس مرهف ،أنك تشبه جيمس بون في قريتنا .
- لا تمدح يا عمر فالمدح مثل الذبح ، وأنصحك أن لا تثق بي أبداً ،وخاصة مع الجنس اللطيف ،أما بقية الأشياء فضع مالك كله عندي ، ثم اذهب حيث شئت،ستجدها كما هي،هذا هو أنا فلا تفشُ سري ، وداعاً يا صديقي.
- لم تخبرني بتفسير تلك الأسباب لضياع تلك النسوة، أرجوك علمني يا مولاي عدنان ؟!
- هل تسخر مني يا عمر سوف أشرح لك لاحقاً،ذكرني فقط واذهب لمعشوقتك وداعاً ؟.

باراس

تجمع الأصدقاء ليكمل جابر روايته ،وهذه المرة زاد العدد ،وحاول الضيوف الجدد أن يعيد جابر القصة من البداية،فكان رده:

- يا جماعة ما فات يحكيه لكم عمر وعدنان في وقت لاحق .والآن أين وصلنا يا عدنان ؟!!
- وصلت على ما أذكر عندما تحركتم بالسيارات للجبهة.
- نعم نعم تحركت بنا السيارات العسكرية للمذبحة وليس للجبهة ،نحن كباش فداء، نتيجة العجلة وسوء التدبير،المهم تحركنا لمنطقة عتق ،وهناك تمركزنا عفواً ،هناك نقطة مهمة جداً أحببت أن أحكيها لكم بالتفصيل .
- هات يا جابر لقد شوقتنا للرواية ؟
- عندما وصلنا على مشارف بير علي ،تمركزنا أعلاه كان الخوف بالنسبة لي في البداية فقط ،فنحن لا نعرف حرب ، ولم نطلق رصاصة على بشر ،المهم اجتمع بنا القائد وأعطى لنا كلمة السر،وهي تفاح وبرتقال،وقال الضابط حرفياً:

من تحت هذه الجبال عندنا معلومات بأن هناك خونة من أطراف هذه المناطق،ربما يتسللون عنوة لكم في أثناء الليل وسوف يذبحونكم ذبح الكباش ،فإن رأيت أحدهم فقل

باراس

كلمة السر (تفاح) وعليه أي الشخص الآخر أن يقول (برتقال) مالم أطلق عليه النار فوراً فإنه عدو.

- عجيبة يا جابر هذه شفرة تصيبك بالجوع ؟!!
- يا عدنان لا تقاطعني أبداً ، بعد أن ننهي القصة لكم التعليق ،المهم بدأ زام الحراسة منذ الرابعة عصراً،كان طعامنا بسكت بو ولد ومنجا فقط ،وكل شخص معه سلاحه و ١٢٠ طلقة ، وبطانيته ، وزمزمية ماء ،وهنا يا أصدقائي حصل شيء فوق العادة ،وما سأقوله لكم يفوق الخيال ، ولكنه ورب العرش هذا ما حصل .لقد رأيت في السماء شيء غريب.

وهنا جاء والد جابر واستدعاه لأمرٍ يريده .

أحس القوم بالضجر والضيق لقد وقف جابر عند شيء ما، فقال عمر : ليت أباه تأخر قليلا ، ولكن إن غداً لناظره قريب،هيا بنا يا جماعة انتهت السمرة.

في ذلك اليوم رحل أهل عدنان للمدينة عن بكرة أبيهم،وقرر عدنان أن يبقى في القرية وحده ،كانت فرصة ذهبية لعدنان ليرتاح مع أصدقائه، والأهم من ذلك أن يجد فرصة كافية لرؤية ملاك.

اجتمع الأصدقاء في بيت عدنان ،ووجدوا متنفسًا لهم للسمر والتسلية ،وهنا أكمل جابر قصته عندما كان جندي في إبان حرب الشطرين في ذلك الوقت ...

- يا جماعة أرجو عدم المقاطعة عند سرد القصة.

باراس

قفز عدنان وقال : تفضل يا جابر أعرف بأن الكلام موجه لي، ابتسم عدنان ملوحًا بيده ليكمل القصة.

- عندما أعطى لنا القائد كلمة السر ،تملكنا الخوف فعلاً ،فقد كانت كل الكتيبة جاهزة لأي أمرٍ طارئ ،كنا على مشارف شبوة ،وعلى سفح جبل اختبأالقوم ،وكان تحتنا مباشرة الأسفلت لرصد أي تحرك للعدو لجهة المكلا ،المهم تمترس الجميع ومنع من إشعال أي نار أو ضوء.

ما حصل يا جماعة شيء غريب وعجيب ،كنت أتطلع للسماء ،وإذا بسحابة تتشكل سريعاً ،وبرزت لوحة جميلة ورائعة من ثلاثة بشر ،والله وأنا أحدثكم الآن وكأنني أراها أمامي،رسم إلهي رهيب،كانوا واقفين ويلبسون ثياب بيض وحذاء من جلد،وأما أحدهم فقد كان مقابلا لي، وبيده كتاب يخيل لي أنه القرآن الكريم،وملتح بلحية كبيرة مقدار قبضة اليد ،شعر رأسه إلى أذنيه ،وأما الآخر ان فقد كانا يقابلانه ،وهما يرفعان أيديهما بالدعاء والتضرع لله ، وظهرهما مقابل لي ،فوالله يا جماعة لا يحيط بهما أي سحاب أبداً ،بل تشكل السحاب بهذه اللوحة العجيبة ،والتي بهرت منها ووقفت مشدوهاً،فصرخت على أحد الأصدقاء لكي يرى ما أرى،وكنا في هذا الجبل قرابة ألف جندي ،صرخت ونظرت لصديقي ،ثم نظرت مرة أخرى لتلك اللوحة التي يستحيل أن يرسمها أفضل رسام في الوجود ،كانت لوحة

ناطقة ،وودت أن أتكلم معهم ، ولكن اختفى كل شى ء،وبدأ السحاب كموجة عاتية يتقلب لينذر بمطر غزير .

- مستحيل يا جابر ما تقول ،سحاب تشكل ثلاثة بشر ،بكل هذه التفاصيل ولم ير ها ألف جندي معك،هذا شيء لا يصدق؟!
- والله يا عمر هذا ما حصل ،بل يصعب علي وصف ما شاهدته بدقة متناهية ،والله تمنيت أن أصور ذلك المشهد الرباني ،ولكن لم يكن في تلك الفترة أي هواتف محمولة، يمتلكها الأفراد غير كاميرات مع التجار والمسافرين الذين يأتون من المملكة السعودية وغيرها ،وكانت عبارة عن كاميرا وليس هاتفلً تقوم بإخراج الصورة مباشرة.

قفز فهد وقد استوى جالساً وقال:

- هذه كرامة لك من الله يا جابر ،لقد ذهبت هذه الحرب القذرة مُكرهاً،وربما دعوات أمك لك .
- نعم يا فهد لقد ذهبت المعركة ولم أودع أمي ولا أسرتي كلها ،كانت أميلا تكف دموعها ساعة ،وهي تشاهد التلفاز وترى رائحة الموت في كل مكان ، فقرار الحرب كان قرارً ا مريضًا، فدخول الوحدة أصلاً بدون تفكير وتوافق أخو ي بين الطريف ، وحُسن نية، كانت القشة التي قصمت ظهر البعير .

- فعلاً يا جابر كلامك (وقر في حصاة) حسب ما يقول المثل الشعبي .

فرد فهد قائلاً :

- ولكن الحزب الاشتراكي كان مغفلا جداً،رغم الأمن والنظام والقانون ،ولكنه منغلق عن العالم متقوقع في زريبة غنم،فلا بنية تحتية ولا تطور ، وقوارير الخمر تملأ الشوارع ،ليتهم توجهوا للمملكة السعودية، أو أي دولة من دول الخليج ،لكنا في أمن وأمان وتطور بدلاً من الاتحاد السوفيتي،وأخيراً خمق عينهاورمى بنا في بئر برهوت.
- يا جماعة اليوم تأخرنا كثيراً ،ووالدي كما تعرفون،أخشى أن يشن عليَّ حربلًضروسًلا رحمة فيها إن تأخرت أكثر من هذا الوقت ،إنها الساعة التاسعة مساءً ؛ لذا رفعت الجلسة حتى يوم غد إن شاء الله .

وفي اليوم التالي أكمل جابر قصته وكا ن الأصدقاء في لهفة وشوق لسماعها:

- وصلنا جبهة عتق فرأيت وجوهً ا لا تعجب، وضباط لا يهمهم إحراقنا كالفراش ،في معركة لا ناقة لنا فيها ولا جمل ، والعجيب ذهبنا ولم يجتمع بنا أي قائد في كيفية المواجهة مع العدو ؟!!

فقررت ومجموعة من الجنود الهروب بجلودنا ، وفعلاً تم ترتيب الخطة ونجحت ، ووصلنا المكلا ،وهنا كانت اللحظات الأكثر صعوبة ، وهو لقاء الوالدة وأفراد العائلة ، فلقد قرعت الباب قرعاً خفيفاً ، كنت حينها أفكر كيف سيكون اللقاء وهي لحظات يصعب وصفها ، يومين لم أذق طعم النوم ولا الراحة ، فتح ت أمي الباب واستقبلتني بالدموع والأحضان ، لم تكن تصدق أن ابنها أمامها حي يرزق ، دخلت بيتنا كتابوت بلا روح جسد يتنفس فقط،شعرت بشعور غريب ، معظم أخوتي وأخواتي كانوا سعداء ، كأنني طلعت من القبر ،وهم ما بين مصدق ومكذب،أما أبي فلم يرُق له هروبي واعتبرها خيانة للوطن المزعوم، وأمرني بالالتحاق بجبهة حجر ، سمعت وأطعت على مضض وإكراه ...

وبع د يومين تحركت لجبهة (مديرية حجر)طبعا مكرهاً ،كان الهروب يعد عاراً ، ولكنني أعتبره موقف شجاع ، أحارب لأجل من ؟!!

لأجل حماقة ارتكبها السياسيون بدون تفكير ولا تخطيط،ونحن الشباب ندفع فاتورتها ، كانت الجيوش غير متكافئة إطلاقاً،هؤلاء أكثرقوة وعتاداً ،ناهيك عن الخيانات الكبيرة من بنْي جلدتنا ومن قبائل لا حصر لها ،المعركة محسومة سلفاً، فلماذا ندفع أرواحنا بلا ثمن ،وبلا نتيجة ؟!!

باراس

كنت حينها في (مديرية حجر) مع متطوعين من قبيلتي، كانت نيتهم السلاح فقط ، والعجيب أنني اكتشفت معدنهم القذر هناك؛ فقد وشوا بي عند أحد القادة بأن هذا جندي ومعه سلاحه، ولا يحتاج سلاح ،بل كل واحد تحصَّل على قطعة سلاح ماعدا أنا !!عند الصعاب يبان معدن الذهب من الخشب، هذه لم أنسها ،ولن أنساها لهم ما حييت ،لم ندخل معركة، فقد فات الأوان فقد انتصرت الوحدة وانتهى كل شيء .

عقلية الحزب الاشتراكي منذ نشأته ضعيفة جداً في شتى مجالات الحياة ، المنغلق أصلاً عن العالم الخارجي؛ لهذا فقد كان شعب الشمال منفتحين على العالم فلنتصروا علينا.فلم يصبر فهد فقال :

- يا أخي جابر هؤلاء عندما خرجوا علينا من السماء ظنناهم ملائكة رحمة ، أولاً لم نفهم لغتهم ،ولا لهجتهم إلا بعد أشهر معهم ،العجيب أغرقوا المكلا والجنوب كله بالمأكولات و انفتحت التجارة ،وحصلت نهضة عمرانية كبيرة؛ لهذا صرخ الشعب كله يصفق لهم ، بينما الحزب الإشتراكي منغلق ،قوارير الخمر تملأ الشوارع ، الطرقات محفرة ، كنا نمر على (العَيقَة) في المكلا وهي وحل قذر وأوساخ ،تحولت الآن إلى خور

المكلا ، لمَ لا يستغل الحزب هذه الأمور ، وأرضنا حبلى بالثروات.

فرد عمر وقد كان متكئاً وقال:

- ولكن بعد ذلك تكشّ ف لنا الوجه الحقيقي ،سرقوا أرضنا وثرواتنا وبحرنا ،وكل شيء وفعلوا بنا الأفاعيل ،وهاهو الجوع يفتك بنا ، لقد جلبوا شيوخهم وتقاسموا كل شبر من أرضنا ، واختفى ذلك الوجه الجميل،وكأن لسان حالهم يقول : (نصلي لك لكي نقَرُب) .

فضحك عدنان: وقال ما قصة هذا المثل يا جابر ؟!

- هذا المثل له قصة حقيقية ،يُحكى أن قبيلة الصيعر في حضرموت اشتهرت من قديم الز مان بالشراسة وقطع الطرق والسرقة، وكانوا قديماً ليس في قلبهم رحمة ولا يرف لهم جفن ،وهنا أتكلم عن ثلة منهم وليس كلهم، وكان الطفل الصغير لكي يخوفه أهله يقولون له :

لا تخرج من الدار ،الصيعري خلف الباب ، فيخاف ويرتجف ويعود.

وذات يوم ذهب رجل من أحد القبائل في شأن له ،كان خائف أن يجد في طريقه قطاع الطرق ،وخاصة من قبيلة الصيعر ، وصار يمشي وهو يلتفت يميناً وشمالاً ،وفجأة رأى رجلا يصلي من بعيد اطمأن قلبه ،وقال في نفسه :

هذا الرجل يخاف الله ،سأجعله ونيسًا لي ورفيقًا في طريقي ،وسأغدق عليه من الأموال .

فذهب إليه ولما وصل عنده قطع الرجل صلاته ،وأشهر سلاحه عليه وقال له : سلامتك في مالك وما تملك ؟!!

فتعجب الرجل والخوف يعصره وقال :

لقد رأيتك تصلي وتخشع في الصلاة ، فظننتك تقيًا ورجل خير فهرعت إليك .

فقال الصيعريمقولته المشهورة والتي ذهبت مثلاً (أُصلي لكَ لكي تقرب).

فرد فهد وقال :

- وهذا ما حصل لنا بالضبط سلّب منا كل شيء.

انفض السمر وكلاً ذهب لبيته .

فجلس عدنان يتذكر ملاك لعلها تدواي جراحه وآلامه،فقد كانت فرصة لا تعوض،فالبيت لا أحد فيه ،فكل أسرته رحلت للمدينة ،والشوق قد بلغ به مبلغاً كبيراً.

جلس عدنان يفكر في الوضع المزري الذي وصلت إليه البلاد، كل شي تغير الكون أصبح موحشًا،الأصدقاء بدلوا جلودهم بجلود ذياب لا ترحم،وتدثروا بعقول ثعالب ماكرة ، وحتى ذوي المساجد والصلاح تغيرت طبائعهم ،ما يقولونه لا ينطبق على الواقع ،مجرد دروس ومواعظ ، لا تغادر جدران المساجد ، وهناك خلف الأكمة يختبئ خفافيش الظلام ،ومصاصي الدماء .

ظل عدنان يفكر ويقلب الأمور التي يعيشها ويفسرها حسب فطرته ، وما شعر إلا وصديقه ورفيق دربه عمر واقف عنده وهو يقول :

- أين ذهبت بك الأفكار أيها العاشق الملهم ؟!!
- إيه لقد ذكرتني، كان بالي قبل لحظات مشغول بها ،ثم انحرف بي الخيال إلى بئر برهوت فاستنشقت روائح كريهة ، فبقيت أبحث عن مصدرها ، فتهت وتاهت بي الظنون .
- دعك من هذا وقل لي هل قابلت قرة العين وتفاحة القلب ؟
- صحيح دعنا نغرد في عالم الحب والعشق لتسمو أفكارنا،وتلين قلوبنا يا صديقي عمر؟
- وهذا ما أريدك أن تفكر فيه وتشغل عقلك به ، حذارِ تنحرف إلى ذلك البئر النتن ؟سأجد طريقة لكي ألتقي بها ،أُريد أن ترتاح نفسي وتذوب همومي ، أشعر بأن الظروف الحالية تخنقني ، كأنها تلف حبل المشنقة على رقبتي .
- أعطني حريتي ، أطلق يديا ،إني أستبقيتُ فما أبقيتُ شيئاً ، آهٍ من قيدٍ أدمى معصمي.
- ما هذا أيها العاشق ؟

- لقد ذكرتني بكوكب الشرق أم كلثوم ، صاحبة الصوت الشجي ،الذي يأتي من ذلك العصر الذهب فيطرب العقول ، وتحس بكلماتها وصوتها يغوص في الأعماق وفي الوجدان ، هكذا دعنا نغرد يا صديقي ، ولو للحظات قليلة لكي ننسى همومنا وأحزاننا.
- لقد فتحت شهيتي لذلك الحب والغرام يا عدنان.
- سأذهب إليها لابد من وعد ، لكي نُحلق في الكون ونضحك ونجري كطفلين معاً .نلتقي ياصديقي في المكان المحدد والزمان المحدد ، ونخترق حاجز الصوت، ونسبح في ملكوت الحب والسلام .
- اتفقنا على ألَّا نتفق وداعاً.
- وداعاً.
- انتظر يا عدنان لم أفهم العبارة الأخيرة .
- اتفقنا على ألَّا نتفق ،كيف ولماذا ،ومتى؟!!
- لقد أربكت عقلي أيها الثعلب الماكر رافقتك السلامة؟!

(٤)

كانت بيوتات الحي صغيرة جداً ، ومتقاربة وكلها من طابق واحد ، وهي بيوت متواضعة وشعبية ، لا كهرباء

عند ساكنيها ، غير الفوانيس القديمة ، نومهم مبكر ، واستيقاضهم مبكراً، يختلط صراخ الديك بصياح أطفالهم ، فمنهم من يذهب لمزرعته ، والتي يعتمد معظمهم على قطر السماء والأمطار الموسمية ، لا بئر عندهم ، بل هناك حفر حفرها الأجدا د تحفظ الماء كالصهريج ، وعلى طريقتها تابع الجيل الجديد ، حياة طبيعية تعود للعصر الحجري ، ولكن هكذا اعتادوا ، وهكذا تسير حياتهم ، وبدأ النور يدخل بيوتهم عبر الطاقات الشمسية عام ٢٠١٢م، وهنا تغير الروتين اليومي لأكثرهم بسبب السهر ، والطامة الكبرى والمرض الفتاك ه ي شجرة القات ، فهي السم الزعاف والموت البطيءللصغير والكبير، للشيبة والشباب ، دخلت البيوت فدمرت المجتمع ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً.

ترصد عدنان ذلك الطريق الذي تخرج منه ملاك ، فقد اشتاق إليها كثيراً ، مرت أيام لم يرها فيها ، كأنها سنوات طوال ، ها هيتمر من جنبه وهي تقول:

- علام الهجر يا عدنان هل نسيت أحبابك ؟!!
- لا أصدق ما أرى ملاك الروح ، أرجوكِ وعدنا التاسعة ليلاً،في بيتنا سوف أكون لكِ عند الباب لا تتأخري ؟!
- ولكن لم أنتَ مرتبك هكذا يا عدنان ؟!!
- الناس هنا يا ملاك لا ترحم ،عيونها كالبومة في الظلام ،ولا أريد أحد أن يمسك بكلمة واحدة.

تحرك عدنان وهو يقول:

- لا تنسي الوعد حالما ينام أهلك تحركي تحت جنح الظلام وداعاً ؟

ذهب عدنان إلى غرفته فلم يستطع أن يجلس ، بل صار يدور حول نفسه ويحوم كالنسرذهاباً وإياباً ويخاطب نفسه:

ماذا لو جاء أحده م وأراد أن يسمر معي ستكون كارثة،ولكن سأعمل نفسي غير موجود سأطفئ الفانوس ،لا أريد أي شعاع للضوء في غرفتي ،سأغلق باب الحوش أيضاً، لابد من ترتيبات وتخطيط محكم.

كانت ملاك تستشير صديقتها غيداء،فقد كانت نِعم الصديقة وذات أخلاق عاليةوهي ابنة خالتها المقربة فقد كان الخوف بادئ على وجه ملاك ، خوفاً من اكتشاف أمرها ،من أي إنسان يتربص بهما ،ولكن غيداء طمأنتها وقالت:

سأكون لك ناصحة ،لولا إنني أعرف عدنان ومعدنه ،لمَ سمحت لكِ بدخول بيته ليلاً ،ورغم العواقب الوخيمة والخطرة ، فعدنان أعرف أنه من نظراته زير نساء ،والرأي لك ، تصبحين على خير .

غادرتها غيدا ء وهي تصارع أفكارها والشوق قد بلغ بها مبلغه ،لقد أعطاها العهد والميثاق ألَّا يفعل معها ما يدمرها ، ويقتلها نفسياً وجسدياً ، وتصبح روحً ا تسكن قلبًا جمادًا، ولكنها اتخذت قرارها .

وعند الوقت المحدد تسللت من غرفتها ،بعد طف ء فانوسها،وتأكدت بأن الجميع في سبات عميق ، كان البيت قريباً جداً لا يتجاوز عدة أمتار فقط .

خرجت ملاك والخوف يقتلها ، كان الظلام يلف القرية من كل مكان ، القرية كأنها خاوية على عروشها ،الجميع في نوم عميق .

وأخَيراً وصلت ملاك لبيت عدنان ،ومتأكدة أنه ينتظرها بلهفة واشتياق ، سمعت نباح كلب خلفها ،فكادت تصرخ من شدة الهلعوالخوف .

ولكن عدنان سحبها وضمها إلى صدره كالفارس المغوار،وأغلق الباب بهدوء ودخلا الغرفة ، ساد الصمت لحظات وتكلمت العيون بلغة لا يفهما إلا عاشقان ، كان هناك حديث خفي لكلٍّ منهما ، إنه الشوق ولوعة الفراق .

كانت ملاك ترتدي ثوبَاً أحمر جميلا، خلع عدنان البرقع وهي ترتجف تحته كغصن البان ، لمس يديها وإذا بها ترتجف خوفاً، عرف أن الموقف خطير جداً، وهو شاب لم يتزوج بعد ، وجمالها لا يقاوم ، ضمها إليه وقبَّلها بحرارة وشوق، أحس بالسعادة تتغلغل إلى نفسه ، كان سكون الليل يوحي بأنهما يملكان القرية كلها ، لا أحد سواهما ، نظر إلى عينيها ويده لم تهدأ ، فقد كانت تطيش كالطفل الصغير في الإناء،تدور كالرحى في مواضع جسمها ، لم يشعر إلا بتراجعها للخلف، وهي تقول:

العهد العهد الوفاء الوفاء ؟

حينها فقط أفاق من سكرته وقبلها على رأسها ، وضمها إلى صدره وقال :

باراس

- نعم يا ملاك عمري لازلت على العهد ما حييت ، أنتِ في عُهدتي حتى و إن غدر بي الزمان ،وأكل الغدر أحلى ذكريات عمري ؟؟

ملاك هناك هواجس وظنون تقتلني ،عندما أكون لوحدي ؟!!

- قل يا عدنان أنا تركت بيتي وتسللت إليكَ حباً في رؤيتك ،والحديث معك وخاطرت بنفسي لأجلك.
- أخشى أن تتركيني كما فعل الجميع،إلا عمر هذا هو الوحيد الذي صمد وقاوم معي رغم كل الظروف المحيطة بي،ورغم عصبيتيوسوء أخلاقي ووساخة ألفاظي أحياناً، طبعي يتعبني كثيراً يا ملاك ،عندما أكون لوحدي أبكي كالطفل الصغير، عمر كان معي ويعتبر صندوق أسراري ، تركني جميع أصدقائي وأقرب الناس لي ، وإخوتي الذين تخلوا عني كلهم ذهبوا المدينة ،وتمر أشهر وسنوات لم يسألوا عني ، هل هو قدري يا ملاك هل هو قدري ؟!!
- معقول يا حبيبي تبكي وتذرف الدموع ، كلما رأيتك ظننتك كتلة من حديد ، قاسي القلب لا تلين ،لا أصدق أنك تحمل هذا الهم،وهذه الجروح الغائرة !!
- ولهذا يا ملاك أخشى أن تتخلي عني حالما تغادرين قريتنا ، ومن غاب عن العين غاب عن القلب .

باراس

هل ستجمعني بك الأقدار ونظل معاً إلى الابد ، يا حبيبتي وقلبيوتاج راسي ، أم كما هي أقداري ستذبحني كالعادة ، فلقد تعودت على الجروح والآلام والأحزان ، هي ظلي وروحي لا تفارقني ما حييت .

- أرجوك يا عدنان أرجوك ،هون على نفسك ودع الأقدار هي من تحكم في حبنا وقدرنا ، ألستَ تردد دومًا لي قول الشاعر:

مشيناها خطى كُتبت علينا ومن كُتبت عليه خطى مشاها

ابتسم يا عدنان أنت دائماً تعلمني الحب والتسامح ، وأنت داخلك بركان يتفجر ودموع لا تنتهي .

- أنا آسف يا ملاك إنني اقرأ صفحة كتابي كل يوم ، لو كتبت بدموعي قصتي ما تحملها ملف ،(ستنفد بحار العالم كلها ولن تنفددموعي وآهاتي) لقد نلت فوق طاقتي ، أحياناً أقول ليتني لم ألد ليتني مت ،ليتني كنت هباء منثوراً،من شدة ما أجد ، وأشد ما يؤلمني من أقرب الناس لي ، أمام الناس أتظاهر بالسعادة ، وعند ما أخلو بنفسي تبدأ قصة ألم لا نهاية لها .

- لا عليكَ يا حبيبي ،أنا سوف أضمد جراحك وأجفف دموعك ،أنا جوهرتك التي نزلت من السم اء ، أنا ملاك يا عدنان سأكون معك وإلى جانبك ،حتى و إن

لم يحالفني الحظ في أن أكون زوجتك ورفيقة دربك ، ولكن سأبذل كل جهدي لأكون لك ،مهما كلف الأمر فثق فيَّ ؟!!

- سامحيني يا ملاك هناك أحياناً عقل في الباطن يحدثني قائلاً:

كل هذا حب زائف ومخادع ،هي دغدغة المشاعر والأحاسيس ، حالما يُبعد أحدهما عن الآخر ، وينغمس في حياة جديدة ، ويعرف أشخاصً ا جدًا،سينسى كل شيء ، ستمحو الحياة المخادعة تلك الذكريات ، وذلك الحب الاسطوري .

أليس كذلك يا ملاك ؟

- لا يا عدنان، ملاك هي الوفاء هي الحب السرمدي ، طالما لم تخن أنت حبنا، وتغدر بعهدنا، وتحرق تلك الجنة التي بنيناها في قلوبنا وعقولنا .
- أنا دائماً سأظل و فيًا صادقاً لحبنا ، وها أنا أجدد عهدي وميثاقي لك يا ملاك .
- لقد تأخرت يا عدنان إنها الساعة الثانية ليلاً ، لقد نسيت نفسي معك ، حان وقت الرحيل إنني خائفة أن يتجسس علينا أحد ، فهل أوصلتني للبيت ؟
- بالطبع يا ملاك لا تخافي ،الجميع أموات الآن.

وأطلق عدنان ضحكة خفيفة ، وقبّل ملاك مرات ومرات ،وضمها إليه فقد كان الوداع أحر من الجمر ،

فالفراق صعب كفراق الروح عن الجسد ، أوصلها عدنان لبيتها سالمة ،وكل شيء على ما يرام .

وعاد إلى غرفته وقد تنفس الصعداء ، فقد كان يوماً مميزاً وجميلاً، استلقى على فراشه وغاص في نوم عميق ، وظل يحلم وكأنه في حديقة خضراء ، جلس تحت شجرة الرمان،وإذا بفتاة جميلة تأتيه لم يرَ أجمل منها ، تفوح منها روائح رائعة ، جلست أمامه ،وشعرها كخيوط الشمس تتماوج بألونها الذهبية ، كانت صامتة ، ولكن عيناها تتحدث ،وذلك الوجه كأنه قطعة من قمر ، لم يعد عدنان يصبر أكثر من هذا ،فسألها من أنتِ ومن أين جئتِ ؟!!

نظرت إليه وابتسمت بأسنان تتلألأ كألوان الطيف ، فيها شبه من ملاك ولكنها تختلف عنها،أو ربما تكون هي، أعاد عدنان سؤاله:

هل أنتِ جنية أم ملاك بشري ؟!!

أنا قدرك وحظك الخفي ، أنا روحك الحقيقية ، أنا الجوهرة ،ملاك طيف عابر سيختفي كالظل ، أو كسراب يحسبه الظمآن ماء .

حاول عدنان النهوض ولكنه التصق بالأرض ، تسمر فيها ، نظر إلى هذه الفتاة ،وإذا بها تضحك ثم مشت كالطاووس وهي تردد :

أنا الجوهرة سأظل في عقلك ودمك ، أنا روحك يا عدنان ،أنا روحك يا عدنان ،أنا الجوهرة،الجوهرة.

باراس

قام عدنان مذعوراً خائفاً يتصبب عرقاً ، كانت الساعة تشير للرابعة فجراً، بقي من الصلاة ساعة،فنام نوماً عميقاً فلم يصح إلاعلى صراخ الديك ، وزقزقة العصافير ، وصوت الأغنام الذي أصبح لديه كالنغمة الموسيقية مستحيل يصحو يوماً دون سماعها.

في الصباح الباكر قرر عدنان وعمر القيامبوحلة قناصة للوادي ،فه ي عادة متأصلة في نفوس أهل الريف ، ه ذه المرة ستستمر لمدة ثلاثة أيام ، تم التجهيز ، وعند الرحيل جاء معهم صديق قديم ، كان في زيارة لهما فقد رحل من القرية وأسرته للمكلا منذ خمسة أعوام ، إنه عمار كان رجلا يحب الترحال، ومتزوجًا منذ عام ، كان عدنان يحبه لصراحته وصدقه ، ستكون الرحلة مشياً على الأقدام،مسافة سبعة كيلومترات من القرية ، تحرك الرحالة وقد أخذوا الزاد والعتاد ، وفي الطريق وكان الجو معتدلاً وجميلاً، قال عمار:

ألم تتزوجا بعد أيها العاشقان ؟

نظر كلٌّ منهما للآخر فقال عمر:

- لا لم نجد فتاة الأحلام بعد يا عمار.
- هذا لا يعقل فأ خباركم تصلني ، والنساء لا يتركن شاردة ولا واردة إلا ونشرْ نها، عمر صديقته سهام الطائشة،وعدنان مغرم ومفتون بملاك الجميلة.

صرخ عدنان وقال :

- لا مستحيل كيف تم تسريب هذه الأخبار ؟!!

ضحك عمار وقال :

- النساء يحملنَّ شبكة مخابرات عالمية،لن يمر عليهنّ طير في السماء ،إلا وسيأتي منه خبر ، ولا تنس الريف العربي،مستوطنة للقيل والقال ،ناس لا شغل لهم غير نقل الأخبار،وبثها في الجريدة اليومية.

نكس عمر رأسه وقال:

- صدقت تم كشف أمرنا إذاً، سأسحب نفسي (قبل ما تقع الفأس في الرأس) .

أما عدنان فقد صرخ بأعلى صوته وقال :

- أحبك يا ملاك ،أحبك يا ملاك ،فلتسمعني الجبال والسهول والوديان ،أحبك وسأكتب اسمك على الحجر ، والشجر وفي سويداء قلبي ، لا يهمني الناس ما دام حبنا نزيهًا وعفيفلً
- ما هذا يا عدنان هذا حب سيذكره التاريخ ،عدنان وملاك حب فاق الخيال وكل التصورات، يا لك من عاشق كيف تحولت إلى هذا الإبداع ؟!

كلماتك ساحرة وجميلة ،مستحيل تسمعها أي شابة على وجه الأرض ،ثم لا تقع فريسة بين ذراعيك .

- إنه الحب يصنع المستحيلات ويلهمك أجمل الكلمات يا عمار .

باراس

- صف لنا زواجك كيف تم وهل كان بينكما أي قصة حب؟

- تبدأ حكايتي يا أصدقائي بدون أي قصة حب ،مثل ماهي عادة قبائلنا وتقاليد نا، لم أرها وجها لوجه ، وصفتها لي أمي، وأنها من قبيلة لها شأنها وذات الحسب والنسب.
ولكن قصتي الحقيقية مع الحب والعشق ، أنني أحببت فتاة من عائلة كريمة ، وكانت ملتزمة دينياً،وذات أخلاق عالية ،وعندما كلمت أبي صاح وزمجر وصرخ بأعلى صوته ،وتجمع الجيران !!

تعجب عدنان وعمر وقالا :

- وما الذي حصل هل هي معاقة أو سيرتها لا تليق بالزواج منها ؟!!

- لا هذا ولا ذاك ، كانت من أسرة ضعيفة ،ليست من القبائل ولا السادة ولا المشايخ ، إنها من قوم يحتقرها القبائل،مهنتهم الزراعة،بلغة وقانون القبائل أُناس (ضُعفاء) بشرتها بيضاء وأهلها من خيرة الناس ، لقد اتفقنا على كل شيء ، وفي آخر لحظة ،فشلنا في كل شيء ، حتى أن أصدقا ئي يُعيروني كلما ممرت بالقرب منهم ويقولون :
لو تزوجتها ستكون بصمة عار وشنار للقبيلة كلها ما حييت ؟!!

باراس

هز عمر رأسه وقال : تلك العادات والتقاليد تذبحنا ،مازلنا نعيش في العصور الحجرية، تصدقون إنني أبغض القبيلة وأمقتها ،كل الحروب والفتن ، والتخلف والجهل والمرض الذي نعيشه سببه القبيلة والأحزاب، متى يا قوم نكون مدنيينومتساوين، ونضع السلاح من أكتافنا متى؟!!

رد عدنان وقال:

- يا عمر نحن في حضرموت في نعمة عظيمة ،لا نحمل السلاح مثل غيرنا ، ولكن ربما هي عدوى سرت إلينا ،زرعت فينا الحقد وبثت القبولة النتنة،وحركت الثارات بعد أن خمدت براكينها منذ عهد السلاطين ،ولكن ثق بأن الحضرمي أصيل ومثقف،وحالما يجد دولة حقيقية،سيضع السلاح في لمح البصر،ألم يقل الأديب الكبير باكثير:

إذا ثقفت يوماً حضرمي ـاً لجاءك آية في النابغينا

تنهد عمر وقال :

- والله صدقت يا عدنان ،ولكن متى تنكشف الغُمة .
- دعونا من السياسة إنها كالشيطان ينفخ في العروق ، بالبكاد نستطيع قطع الحديث ، دعونا نتمتع برحلتنا وبهذه المناظر الجميلة ، وتلك الجبال الشاهقة ، الطبيعة تريح القلب أليس كذلك يا عمار ؟
- نعم نعم ، لقد فتحتم بابًا أغلقته منذ سنين ، الحب والعشق،فدعونا نستمتع برحلتنا يا رفاق.

دخلت ملاك غرفتها وجلست تبكي بمرارة ، في هذه الأثناء طرقت الباب غيداء ودخلت عليها وقالت:

- هل حصل لكِ مكروه مع عدنان تلك الليلة ،لقد نصحتك بخطورة اللقاء ؟!!
- لا يا غيداء لقد زاد حبي له ،إنه رجل لا مثيل له ، يحمل في صدره بركانً ا وحممً ا تتفجر ، ورغم كل هذا يبتسم للحياة ويدواي جراح غيره ، فمن يداوي جراحه هو ؟!!
- احكي لي يا شهرزاد ما حصل تلك الليلة ؟
- لا تسخري مني يا غيداء لم يحصل أي شيء مما في عقلك،ولكن حمَّلني أسراره ،ووعدت بعدم إفشاء أي كلمة منها .
- فعلام تلك الدموع يا ملاك لقد حيرتيني ؟!!
- دموع الخوف ألا أكون له ،ولكن مهما فرقتنا الأقدار سأظل أُحبه ، ولقد وعدني أنه سيظل روحي مهما بعدت المسافات ، سأظل أضمد جراحه ،ويداوي جراحي ، هل فهمتي يا غيداء سبب دموعي ؟!
- أنتما قصة حب لا مثيل لها ، فقصة قيس وليلى،وعنتر وعبلة،وروميو وجولييت،لا شيء عند هذا الحب هنيئاً لكما، لا أقول لك إلا ما قاله أجدادنا

في المث ل الشعبي : (تبات نار وتصبح رماد) تصبحين على خير أيتها الغالية .

وبعد ثلاثة أيام عاد الرحالة بعد استمتاع ، عادوا بروح جديدة وصفاء ذهن وهمة ونشاط لمواصلة الحياة ، اشتاق عدنان لملاك كثيراً ،ولكن هذه المرة أرسل لها رسالة مع غيداء لتسلمها ملاك ، قرأت ملاك الرسالة ،وأخبرت أمها إنها ستذهب لجلب الحطب ،هي وزميلاتها وستكون معهن ولن يعدن إلا قريب الغروب ، وافقت الأم ، فقد كانت تلك عادة أهل البوادي .

صار عدنان يترقب الجبل ليعرف هل نجحت الخطة ، وماهي إلا لحظات حتى رأى غيداء وملاك في طريقهن للجبل ،ويحملن الطعام والماء ، فعرج من طريق آخر وسبقهن للموقع ، ما أن رأت ملاك عدنان حتى جرت إليه مسرعة ، لقد كان الشوق يقتلها منذ ثلاثة أيام ، ولكن عدنان كان أشد حباً لرؤية ملاك ، نظرت غيداء فذرفت عيناها ، كان الموقف مؤثرًا جداً،فهي تعرف تفاصيل ذلك الحب منذ أن بدأ كل واحد من العاشقين ،كان يحمل للآخر شوقاً ولهفة أحر من الجمر، ظلت غيداء واقفة كعود البان ، ودموعها تسيل ؛لأن قلبها رق لهما ، وعرفت كُبر المعاناة التي يعيشها كلٌّ منهما.

ضمها عدنان إلى صدره بكل لهفة وشوق وحب ،وصار يدور بها ،وهو يضحك ورجلاه ا معلقتان من الأرض،ويقول :

لقد افتقدتك يا ملاك عمري،عن جدافتقدتك كثيراً ، تعالي لكهفنا نمضي أحلى أوقاتنا ، لقد صرتِ لي كالروح يصعب فراقها ، بل كأنفاسي يا أغلى حبيب.

صارت ملاك تردد:

- على مهلك ،لم تتركني أنطق بكلمة واحدة ،معي غيداء هناك .
- لقد نسيت نفسي ، عذراً يا غيداء سامحينا سنذهب للكهف بضع ساعات وداعاً.

كان عدنان متأكدً ا بأن غيداء تعرف كل شيء عن حبهما،أشارت غيداء بيدها ثم عرجا إلى الكهف في لمح البصر .

وهناك وفي ذلك الغار أخرج عدنان سكينً ا صغيرً ا من جيبه ،خافت ملاك ، لقد رأت في عينيه مآسي وأحزانً،فقالت: ماذا تريد يا عدنان بهذا السكين ؟!!

لم يتكلم عدنان بل نهض واقفاً وأعطى ظهره لها ،فتقدمت أمامه،وإذا به يبكي والدم ينزف من وريده ،وهو يقول:

هل ستبقين معي للدهر كله ، أم ستتركيني كما فعل الكثير من أعز أحبابي ؟!!

أخذ عدنان يد ملاك بقوة وجرح معصمها وقال:

- نتعاهد بدمنا أن لا تتركيني مهما كان ،سنكتب بدمنا هذه العبارةعلى هذا الجدار، لكي يكون شاهدً ا على حبنا وإخلاصنا مدى الحياة .
- نعم أعاهدك يا عدنان لكن حاول أن تنسى جروحك وآلامك ، حاول يا عدنان.

ثم ذهب للجدار وكتب بالدم (لكُتبت علينا مقادير ومن لكُتبت عليه المقادير مشاها)،ثم ربط عدنان معصم ملاك واعتذر لها عن هذا الفعل .

أما هي فقد مزقت قطعة من قماشها وربطت معصم عدنان به ، ليبقى الحب ما بقي الليل والنهار .

- لماذا يا ملاك يحاربنا البعض بكل قوة ،لماذا القريب يذبحك ،وأنت تفرش له الورد والحب والحنان ؟!!

كان عدنان يتألم كثيراً ، لقد حرُ م الحنان منذ طفولته ، ولهذا ظل متمسكًا بملاك كثيراً، يريد أن يعوض بعض ما فقده صغيراً وكبيراً.

طأطأت ملاك رأسها وقالت :

لا أعلم يا عدنان، قصتك لغز محير وسر دفين ،ولكن نصيحتي لك ،عش يومك و انس كل شيء ، واعلم أن هذا الكون فسيح ، فكل ما تراه جميل ، الجبال الشاهقة ، وخرير الماء في السواقي ، وزقزقة العصا فيو، وحفيف

الأوراق ، وتلك الأشجار الجميلة ، وفوق هذا وذا ك ملاك بين يديك يا عدنان.

أحس عدنان بأنه ولد من جديد ، فقال :

- أنتِ الحياة التي أحتاج إليها ، أنتِ الإلهام الذي يجعلني أستمر في ال حياة ، فعلاً كل شيء جميل حولنا ورائع ، دعينا نحلق في السماء ،نطير فوق بساط الريح ، ندوس على كل أوجاعنا وآلامنا ، دعيني أضمك لصدري،لكي ألتحم بروحك وأخترق قلبك ، أنتِ يا ملاك كل شيء في حياتي .
- نعم يا حبيبي أنا جوهرتك التي بين عينيك فصنها وحافظ عليها ، سأظل لك وفية ، أنا بلسم جروحك وأحزانك من هذا اليوم ، فنم قرير العين ،فلن أنساك ولن أتخلى عنك ،كلما احتجت لي ستجدني أمامك يا عدنان .

ضمها عدنان وصرخ :هذه هي ملاك الروح ،هذه هي جنتي وبستاني في الدنيا ، لن ولن أتخلى عنها ،ولو قطعت ألف قطعة طالما في الروح نفس .

ابتسمت ملاك وقالت : على رسلك أيها العاشق ،كل شيء يا حبيبي بقضاء ما بأيدينا خلقنا تعساء.

دعنا الآن نغادر هذا الكهف فالغداء جاهز ، ومؤكد غيداء قامت بالواجب هيا بنا.

عاد عدنان من الكهف في سعادة لا توصف ، لقد عادت له روحه من جديد ، وأحس للحياة قيمتها وجمالها .

هرع لصديقه عمر لكي يطلعه على آخر ما توصل إليه، لحل ذلك الجرح العميقوالغائر منذ سنوات ،ربما تكون ولدت معه ، وأمامه صحيفة سوداء فعليه أن يتقدم ، ويجعل من أحزانه شراب لذيذ يتمتع به ، ومن كلمات أخوته وصدهم ، التي هي أشد من السيوف والخناجر ، قيثارة يعزف عليها أجمل ألحانه ، فيشعربسعادة وبهجة لا توصف ، اليوم الذي ليس فيه أحزان ولا مآسي هو يوم عقيم لا قيمة له .

استقبله صديقه عمر بابتسامة مشرقة وقال :

- سبقتك سهام بالبشرى لقد كنت مع ملاك وغيداء في الجبل ؟!!
- ما هذا الكلام يا عمر لقد كُشِف أمرنا ،وأخشى من مصيبة يدسها حاقد أو نمام فيعكر صفونا ،ويضيع حبنا وينتشر الخبر كاهشيم في النار ،فتتلاقفه النفوس المريضة ،وتزيد وتنقص فيه ؟!
- فعلاً يا عدنان ،نأمل أن لايصل الخبر لأبيها، لكانت الطامة الكبرى ، فهو رجل عنيد لا يرحم .

سمعت أنه يريد زواجها من تاجر في الإمارات ، وهنا ستكون المصيبة.

رد عدنان بغضب وحنق وقال :

باراس

- لن يأخذ مني ملاك أي بشر على الأرض ،ملاك لي أنا هل تفهم يا عمر ؟!
- ولكن أبوها يريد تزويجها من تاجر ،وأنت في نظره فقير معدم ، أرى أن تنساها ، فغيداء بنت جميلة وذات أخلاق، وهي من قريتنا وأبوها رجل يعزك ويقدرك .
- لا تعذب نفسك في المستحيل ؟ !! لن أتخلى عن ملاك أبداً ،ولو خيروني بين بنات الملوك والسلاطين ،لن أختار إلا ملاك هل فهمت ؟

ذهب عدنان مكسور الخاطر ، جاء لكي يبشر فذهب كالقبر يمشي ،وأحزانه وجروحه تلاحقه كالظل ،ولكن عدنان لا ينكسر ولا يلين ، دائماً لا يحب الرجوع للخلف ،مهما كانت الصعاب والعواقب ، لا توجد كلمة مستحيل في قاموسه.

اليوم سيكون أجمل لقاء مع عدنان وملاك ، عندما يخالط الشوق بشاشة القلوب ، ويسطو على العقل والمشاعر ، هنا يصبح ا لمحب أسير من يحب ، هذا هو وادي الغار ، هنا ولد عدنان من جديد عندما قابل ملاك ذات يوم ، وجمال الطبيعة يحيط بهما من كل مكان ، هنا سمع سيمفونية وموسيقى رائعة تغنيها طيور السمان والحمام ومالك الحزين ، هنا عزفت الدنيا نشيد الحب والسلام .

سينتظر قدومها بكل بهجة وسعادة ، لقد أحضر لها هدية ، عبارة عن قلب من الفضة ، لتظل القلوب مع بعض مهما فرقتهم المسافات .

ها هي قادمة بطلعتها البهية ، كاد يشهق عدنان من هذا الجمال ، إنها ترتدي اليوم أجمل ما رأت عينه ، تسمر مكانه، وهي تتمايل كعود الخيزران ورائحة العطر تفوح منها، بهت تع لثم في كلماته، كاد يصرخ من شدة جمالها وحسنها، جرى كالمجنون نحوها يهرول ، اعتنقها ، قبلها، أخذ يدور بها كالرحى وهي تصرخ : عدنان إني أشعر بالدوار ، وضحكاتها ترج الوادي ، وتسمع له صدى كموسيقى رائعة تعزف أجمل ألحان الحب والغرام .

- لقد ذبحني الشوق أيها الملاك ، عندما رأيتك في أجمل ثياب وأبهاء صورة ، كدت أطير من الفرح .
- لا أصدق نفسي يا عدنان إنني أملك قلباً وعاشقاً محب مثلك ، لقد وهبتني الحياة من جديد .
- أنتِ من وهبني الحياة ، أنتِ يا ملاك من أعاد لي بسمتي وسعادتي ، أنت نعمة من السماء نزلت لتضمد جراحي .
- رغم خوفي هذا العجيب أن يرانا أحد فيخبر أبي و؟!!
- لا لا تخافي طالما حارسك وحبيبك معك لن يؤذينا أحد.

بل سيكون هذا الوادي قبرك !

التفت عدنان وملاك نحو مصدر الصوت الذي أرعبهما، انقلبت لحظة اللقاء الجميلة إلى خوف ورعب . إنه والد ملاك يقف على حافة الوادي وشاهراً سلاحاً على عدنان.

حينها أيقن عدنان بالموت ، صرخت ملاك ضمته وأخفته خلف ظهرها وهي تقول : اقتلني أولاً قبل أن تمس شعرة من عدنان ؟

كان مرزوق قاسياًوعنيدًا فقال والشرر يتطاير من عينيه أنتِ لن أقتلك الآن ، بل سأجعلك تموتين ألف مرة ، وأنتِ تتذكرين هذا الميت العاشق أمامك .

لم يتحمل عدنان الموقف، فالموت للرجال شرف وشهامة، هل سيظل يختبي خل ف ظهر امرأة ، فأزاحها بقوة وقال:

هيا اقتل أيها العجوز الخرف ، اقتل حبنا بيدك ، ثم خُ ذ ملاك عمري وبعها لمن يدفع لك أكثر .

صرخت ملاك والأب قد شحن سلاحه وصوبه ع لى صدر عدنان ، فانطل قت رصاصة الغدر وأصابته في الحال.

صرخت ملاك صرخة مدوية كالرعد ، اهتز لها الحجر والشجر .

عدنان ، عدنان ، لا تم ت يا حبيبي ، سأظل معك أينما رحلت، أرجوك يا سندي وتاج رأسي لا تمت.

ضمها بصدره والدم يسيل كالنهر تحته وقال :

- نعم يا ملاك لن يموت حبنا ، سيفنى هذا الجسد ، ولأن حبنا باق سيحلق في السماء وسيرسم للأجيال قصة حب وعشق.

ملاك كفكفي دمعك فموت الجسد لا يعني نهاية الحياة ، هناك سنلتقي معاً حيث لا يوجد كره ولا ضغينة ولا قاتل للحب والسعادة.

- لا يا عدنان لا سأموت بعدك لن أعيش يوماً واحدًا، لقد تعاهدنا إما نعيش معاً أو نموت معاً أعدك بهذا أعدك يا عدنان.
- لا يا ملاك لا تفعليها أرجوك.

كاد مرزوق يغمى عليه سالت دموعه ، رمى سلاحه إلى أسفل الوادي وهو يصرخ :

اقتلني يا عدنان أرجوك اقتلني وخلصني من عذابي ، لا أدري ماذا فعلت ؟

نظر عدنان والسلاح بين يديه وقال :

لم تفعل شيء يا عم مرزوق ، كل الذي فعلته إنك قتلت حبناً ، وحطمت ابنتك ، ولكن لن أجعلك تعيش عم رك بين

باراس

أربعة جدران أبداً ، سأهبك الحياة ليس لأجلك ولكن لأجل ملاك.

تجمع الراس وعمر يبكي ويصرخ وعدنان ممسك بالسلاح

عدنان من الذي قتلك سأشرب من دمه ؟!!

صرخ العم مرزوق : أنا من قتله، ثم أجهش بالبكاء.

أخرج عدنان من جيبه ذلك القلب ، الذي جلبه لها كأغلى هدية وناوله ملاك وقال هذا هو حبنا وعشقنا يا ملاك.

أخذته ملاك ومن هول الصدمة لم تستطع الكلام ، فالذي حصل كان فوق طاقتها لا يتحمله بشر.

ثم قال عدنان وهو في الرمق الأخير:

أيها الناس لقد طلبت من هذا الرجل أن يزوجني بملاك الروح فرفض ، فقتلت نفسي لا أريد أن أعذب ملاك بحب يظل معلقًا، وهذا الأب العنيد لا يرق له قلب ولا تدمع له عين ، فالموت راحة لي .

عمر ملاك أمانة في رقبتك لا تفرط فيها ، كن معها متى ما احتاجت لك .

ملاك لا تنسي أجمل أيامنا وتلك الليالي الخوالي .

ضمته ملاك وهنا أطلق على نفسه رصاصة لينهي حياته أمام الناس ، وينقذ والد ملاك.

صرخت ملاك وولولت أخذت تمزق ثوبها قائلة :

لقد مات عدنان يا أبي ، ها أنا ذا قيد يداي وأرجلي ، واسحبني على بطني هيا أفعل أسرع ، خدني لسوق الرقيق

بعني بثمن يثلج صدرك ساوم على بضاعتك ،أما عدنان فقد أصبح أثرً ا بعد عين ، هذا لا يملك ما تريد من مال وعمارات وجاه ، هذا ما يملكه فقط حب وعشق صادق وروح نقية ، لا قيمة لها في عصركم ، هذا يملك قلبًا أرق وألين من أفئدة الطير ، لا يحمل قلب حجر ، يطربه لون الدم الأحمر ، عندما يملك هذا فقط قتلوه.

ثم أظهرت ذلك القلب الذي أهداه لها وهو يموت ، قلب ملطخ بالدم وصاحبه جثة لا حراك لها ، ثم ضمت عدنان بكل قوتها وهي تقول :

نم يا حبيبي في قبرك ، فلن تجد ثعالب تترقب خطواتك لتضع لك الشباك ، نم يا أمير الحب في وادينا ، ستنعيك الطير التي حامت حولنا ذات يوم ، إنهاتعرفك وتتذكر كلماتك الرائعة عن الحب والسلام ، نم أيها العاشق سيبقى كهفك وصديقك عمر يتذكران كل كلماتك ، وكل مكان مكثت فيه ، نم يا من ملك قلبي وعقلي ستظل لك ملاك تلك الإنسانة التي أحبتك وعشقتك بكل حب وهامت بك .

كفى يا ملاك كفى لقد أحرقتني قلوبنا .

نظرت حولها لم تكن تعلم أن أمة من الناس تجمعت حولها ، لم تكن ترى أحداً إلا أبلها وعمر فقط ، ولكن الناس كالأحجار صامتة تذرف الدموع بحسرة ، وتلك النسوة تهيج البواكي.

فتقدمت غيداء وهي تبكي بمرارة قائلةً :

كم أحببتك حياً وأحبك ميتاً يا عدنان .

تصرخ ملاك: لا، عدنان لي أنا لم يحب أحداً غيري.

ثم تأخذ بشعر غيداء وتسحبها للأرض، الناس ما بين ضارب للكف .

يصرخ عمر: كفى يا غيداء كفى يا ملاك.

هذا عدنان جثة وأنقا تتصارعان على جنازة قد نفقت.

لا لا عدنان ارحم حالك يا ولدي ما هذه الكوابيس التي تراودك بين الحين والآخر .. أمي ضميني إلى صدرك تحسسي جسدي ، هل أنا بخير هل هناك دم ؟!

لا حول ولا قوة إلا بالله ، أنت بخير هذا كابوس مخيف لا تخف يا ابني أشرب ماء وقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . الحمد لله لم أمت ، لم أمت كان حلمًا .

أليس كذلك ؟!!

*****

- تعالي يا عفاف اسمعي فضائح ابنتك ، ملاك تعشق عدنان ، يغازلها ويواعدها يا للعار والشنار ،لقد مرغتي وجوهنا في التراب .
- ما هذا يا مرزوق لا تسمع الإشاعات في ملاك ، ابنتي ذات خلق وتربية وتعليم عال، مستحيل تمرغ وجوهنا في الأرض ، هناك من يريد إذلالنا من

الحاقدين والحاسدين، أليس كذلك يا ملاك ياروحي ،وقرة عين أمها ؟!!

- أمي أرجوك سامحيني ،لقد أحببت عدنان وأريده زوجاً لي ، أرجوك يا أبي ساعدني ،إنني أموت لا تعذبوني كلكم، نعم إنني ...

ولكن الأب لم يمهلها لتكمل جملتها ،فبادرها بلطمة على وجهها فسقطت على الأرض .

صارت الأم تصرخ : لا يا مرزوق لا تجرح ملاك ، أليس في قلبك رحمة ولا شفقة ، هل الزواج بالرغبة أم بالقوة؟!

صرخ الأب: نعم بالقوة،أفضل من الفضيحة والعار عند الناس ، كيف سأخرج للناس وعيونهم كالسهام نحوي ، يتهامسون ويتغامزون بسبب هذه البنت العاقة و قليلة الأدب ؟!!

ولكن ملاك تدافع عن شرفها وحبها وقالت :

أنا بنت شريفة وعدنان فتى شريف ،لم يلمسني بسوء إنه رجل شهم وذو أخلاق عالية.

فيمسك الأب برأسها والأم تصرخ وهو يقول :

وتدافعين عنه أيضاً ، تريدين أن تحرقي قلوبنا ، هذه غرفتك وحكمت عليكِ لمدة شهر سجن ،ولو علمت أنك خرجتي سأطردك من البيت، أنتِ وأمك مفهوم .

وخرج الأب غاضباً من البيت وأغلق السدة بكل قوة وعنف، أما الأم فجلست تلطم وجهها وتبكي بحسرة وهي تقول لملاك:

لقد جلبتي لنا العار والشنار والفضيحة يا ابنتي ؟!

لم تنطق ملاك بكلمة فقد جرح الأب قلبها ومشاعرها ، ولكن دموعها كانت هي الجواب لكل ما آلت إليه الأمور.

(٥)

- عدنان سامحني أنا أحببتك حب عابر ، وقلبي مع شخص آخر في الإمارات ...

- ماهذا يا ملاك ؟ ألهذه الدرجة صرت عندك لعبة ، أعطيتك قلبي تسرحي وتمرحي فيه، وهبتك حبي وعشقي، أنا لا أصدق نفسي، لا هذا حلم ، هذا شيء فوق طاقتي ، مستحيل تتخلي عني .

- أرجوك ياعدنان هذه الحقيقة لازم تعرفها من أول يوم، لكن ما قدرت أصارحك.

- أين عهدك ومواثيقك لي ، نسيتي حبنا في لحظة ؟ عشيقك هذا بماذا يزيد علي أخبريني ؟!

تنهدت تنهيدة طويلة وقالت : بأشياء كثيرة ، شاب وسيم وأنيق ، يركب سيارة جميلة وغالية ، يمتلك عمارة أربعة أدوار ، لديه حساب في ال بنك ، يستطيع تحقيق لي كل أحلامي وما أصبو إليه ؟

- أف لكِ أهذه هي أمنياتك ، المال والعمارات ، والسفر من بلدٍ إلى بلد ، هذا مقياس عشقك وحبك للشخص الذين ترتبطين به؟!!
- يا عدنان دع عنك النفاق وزخرف الكلمات ، واجه نفسك بالحقيقة و إن كانت مُرّ ة ، أنت رجل فقير

باراس

معدم لا حول لك ولا قوة ، لديك من الهموم والغموم ما يهد جبال ، تملك بيتًا يُخيل لي أنه من العصر الحجري ، أفِ ق أنت تعيش في أحلام وخيالات ، ومغامرات قيس وليلى ، ذلك الحب والعشق الصادق مات واندفن مع أهله .

- ملاك لا تحرقي قلبي بعد كل هذا الحب والعشق ، سأموت إن لم أكن لكِ هل تفهمين ؟
- اسمع يا عدنان أنا ذهبت الإمارات ، وعرفت حياة الملوك هناك ، جئت هنا لأجل شخص يُ خيل لي بأنه فلاح مصري بسيط ، يعيش على البصل ويأكل ما حصل ، هذه حياة مستحيل أعيشها معك ؟
- كل تلك الذكريات والعشق مجرد سراب ، خيال عشته لماذا تخدعيني لماذا ؟
- لم أخدعك أنت من عاش هذا الوهم ، حاولت فقط أساعدك ، أهبك بعض الحب والحنان الذي فقدته ، والآن انتهت مهمتي ولازم أصارحك ؟
- ستغادرين قلبي وعقلي ، بعد أن كنت إنسان يحب الحياة ، ستتركيني جثة هامدة ، ليتني ما عرفتك ، ليتني كنت نسياً منسيا ...آه يا ملاك ؟
- سامحني لن تراني بعداليوم ، سنسافر من حيث عدنا وداعاً ؟

باراس

- ملاك سأموت يا ملاك ، لا تحكمي علي بلموت، لقد ذبحتني يا ملاك ذبحتنيا أغلى من وثقت بها، ملاك ... ملاك ...

يدخل عمر وهو يضحك:

- ملاك ...ملاك ، انهض يا عدنان ألا زلت في حلمك وعشقك بفاتنة الجمال ؟!
- يا إلهي يا عمر هذا أسوأ كابوس في حياتي ، أعطني تلك الجرة لأشرب ، لقد عشت لحظات مخيفة ومرعبة .
- هون عليك يا صديقي خذ نفسك وأحكي لي ما رأيت بالتفصيل الممل.

قصتك يا ع دنان تذكرني بقصة تحكيها لي جدتي ، عن العشق والحب الصادق، ولكن نهايتها مأساوية؟

- احكِ يا عمر ، ولكن لا أظن هناك حب مثل حبي، ولا عشق مثل عشقي ، لملاك الروح ؟
- هكذا يُخيل لكل عاشق ، لحظة هيامه وحبه بمن يحب، أنه لا يوجد له مثيل على وجه الأرض .
- هذه القصة حدثت في وادي دوعن منذ زمن بعيد ، حيث جاء رجل من أعالي الهضاب المحيطة بالوادي لحضور عرس ، وأثناء تنقله بين النخيل ، وقعت عينه على فتاة ، لم ير جمالاً ولا قامة أجمل م نها ، تسمر مكانه ، كادت قدماه تغوص في الأرض ، ظل

ينظر إليها بشغف وحب ، شعرت الفتاة بذلك الحب من أول نظرة ، ظلت لغة العيون تتخاطب بصمت ولوعة ، ولسان حاله يقول :

الماء والخضرة والوجه الحسن . يا سبحان من رسم وصور هذا الجمال والبهاء ، كانت برفقة أمها ، ثم ذهبت الفتاة ، لم يستطع مقاومة حبه وعشقه ، فتبعها حتى عرف بيتها ، كانت تسترق النظر إليه وهو يتبعها ، ودت أن تخاطبه ، وتقول له : ارجع لا تهلكنا بتهورك ؟!!

ولكن الرجل ظل يتبعها حتى سدة بيتها ، فغابت واختفت في ذلك السرداب ، حيث انطف أ ذلك النور الذي سلب عقله وفكره ...

- أكمل يا عمر لقد شوقتني لهذه القصة أكمل ؟
- حضر سعد العرس وعقله وفكره معلق بذلك الحب الذي خطف قلبه ، كان شاعراً فجادت قصيدته بأجمل الشعر ، وعرَّ ض وتغزل بها ووصف جمالها ودلالها ، كانت هناك مجموعة نسوة بالقرب من الزامل تسمع وتنصت ، تمنى أن يعرف معشوقته بينهن ولكن أنَّى له ذلك ، فقد تجمع النسوة في كومة كالغربان ، ب لباس واحد يُخيل للناظر إليهن أنهن قطعة من ليل دامس ، أو سحابة سوداء غطت الأرض ، فقال في نفسه هذا الشاعر :

لابد أنها في وسطهن ، وقد فهمت الرسالة، وستنتظرني في الوقت المحدد والمكان المعلوم ؟

وكان حدسه صحيحفقد فهمت الشعروعرفت المقصود.

كانت جدتي تسرد عليَّ أشعاره ، ولكني نسيتها كلها ، كانت الله يرحمها تحفظ الشعر وعندها ذاكرة قوية . ولكن زبدة الخلاصة أنه قال لها :

سأعود إليكم ، ووعدنا بعد عشرة أيام في بيتكم ووعد الحر دين.

وبعد عشرة أيام عاد الرجل ، ومعه جمل له محمل بضاعة ، فدق الباب ففتح له صاحب الدار، فقال له:

ضيف غريب يود الضيافة لثلاثة أيام حتى أقضي بعض شأني هنا ؟!

فرحب به صاحب الدار، فإكرام الضيف من شيمة العرب

كانت الفتاة تسترق السمع وعرفت الرجل ، وفي ظلمة الليل الحالك نام الجميع إلا الشمس والقمر ، فتسلل الضيف إلى الدرج فوجد الفتاة ترتعش خوفاً ورعباً وقالت : يا رجل لقد فهمت شعرك ووصلت رسالتك من أنت وكيف غزا قلبك قلب فتاة مثلي من نظرة ؟!

اسمي سعد . وأنتِ يا الوجه الحسن ؟

فقالت : سلمى .

بامراس

- لا تخافي يا سلمى ، لقد همت بك حباً وعشقاً . وسوف أخطبك من أبيك . ولن أتخلى عنك حتى يلج الجمل في سم الخياط .
- ولكن أبي يريد تزويجي من ابن خالي ، وأنا لا أحبه ولا أريده، لقد عشقتك وأحس قلبي يتقطع ألماً، فكيف السبيل لنجتمع تحت سقف واحد؟!
- عودي لغرفتك والصباح رباح ، خلف تلك النجوم وذلك القمر أمل وحياة أفضل ، والقدر ليس منه مفر .

كان سعد يغوص في حلم جميل ، كيف سيصل لسلمى وكيف سيكلم أباها وهو غريب؟

فلاحت له فكرة ليكسب ود أباها ، فأخرج الحطب من على بعيره وأهداه لأبيها وقال له :

سأعود بعد غد لأجلب الحطب والفحم لأبيعه في سوق الخريبة ، أما هذه الحمولة فقد حلفت أن لا تكسر عود في وجهي فهي لك هدية .

حاول الأب عدم قبولها ، ولكن إصرار سعد ويمينه حالت دون ذلك .

وأثناء وداعه لوالد سلمى ، عرف أن الفتاة تستمع له من النافذة فقال :

وداعاً أيها الرجل الطيب ، لا أريد أن أتأخر ،لقد وضعت بعض أغراضي في ذلك الغار، وسوف أمر عليها!

ثم ارتحل .. فودعه والد سلمى وداعاً يليق به ، ورأى فيه شهامة الحضرمي الأصيل .ولقد ارتاح له كثيراً ...

ضحك عدنان وقال :

- هذا هو الذكاء والفطنة ، لقد وعدها وأبوها يستمع ، فهل فهمت هي الرمز المشفر ؟!
- بالطبع يا عدنان ، فقد جهزت سلمى الخمير والتمر، وعندما بزغت أول خيوط الفجر ، تسللت إلى ذلك الجبل فوجدت سعد في انتظارها ، لقد هام بها وتعلق .
- ضمها إلى صدره قبلها ، كانت ترتجف كالطائر بين يديه ، تناجيا ساعة ووعدها بأن يبذل كل ما بوسعه لكي يخطبها من أبيها .

وقبل الظهر نزلت سلمى لبيتها ، أما هو فقد رحل لدياره .

ومرت الأيام وسعد قد عزم أن يبيع كل أغنامه وإبله ، وأحضر مهرً ا يساوي عشرة أضعاف ما يدفعه الرجل العادي ، وقال في نفسه :

ستكون مفاجأة لسلمى ، عشيقها يبيع كل ما يملك ، ليحصل على أغلى وأحب ما يتمنى.

وفي الوقت المعلوم جاء سعد مُ حملاً بكل ما يلزم من مهر وملابس ،وأحضر أباه وأمه معه ، مستحيل يرفض

أبوها وهو يحمل هذا المال كله ، هو يرغبها وهي تحبه وتعشقه.

ومن بعيد لمحت سلمى سعد قادم ومعه أبو اه، ففرحت وابتهجت بقدومه ، فقد ذاع صيتها بين أقرانها ، وتسلل الخبر كالهشيم في النار، حتى وصل إلى مسامع ابن خالها ، فأخذ بندقيته وقال لمن حوله :

والله لأن وافق عليه زوجاً لسلمى لأقتلنه بيدي، وسيكون قبره ثوب زفافه ... حاول قومه صده، ولكن طاش عقله وفقد صوابه ...

أما سعد فقد رحب به الرجل واستقبله بكل حفاو ة ، وفي الصباح فتح سعد وأبوه الموضوع ، تردد في البداية والد سلمى ، ولكنه تفاجأ بدخول ابنته وهي تقول :

والله يا أبي إما يكون لي سعد أو أموت دونه.

كانت لحظات لا يمكن وصفها أما م هذا الحب والعشق ففزز سعد وقال:

ويشهد علي الجميع ، لن يأخذ مني سلمى أي رجل إلا على جثتي ، نحن أحببنا بعض ، وعلمتُ بأن ابن خالها يريدها ، ولكن الرأي لها أولاً وأخيراً ، وقد سمعتم قولها ويشهد الله أنها ستكون لي ، وودت أن يكون مهرها ملء

الأرض هذه ذهباً وفضة ، ولكن نُهدي على قدر ما نملك ، ولو كان بيدي لأهديتُ لها الدنيا وما فيها .

قفز عدنان وقال :

هذا هو الحب يا عمر نعم هذا هو الحب يا عمر ، ليت ملاك اليوم عندنا لتسمع هذا العشق الصادق ؟!! .

ووافق الأب وقلبه يحدثه بأن هذا الزواج لن يتم ، إلا على سيل من الدماء ونهر من الدموع ، ولكن أمام قوة وإصرار سعد وسلمى لا مفر من القبول ...

تم عقدالزواج في نفس اليوم ، وغداً سيتم الزواج ، حاول الأب أن يُسرَع في ترتيبات العرس ، قبل أن يحصل ما لا يحمد عقباه ...

في الصباح أراد سعد الذهاب بناقته إلى قمة الجبل ، ليقطف لها بعض الأعشاب ثم يعود ، وقد ألبسه أبوه لبس الزواج حسب العادات والتقاليد .

نظرت له سلمى فطارت فرحاً ، وودت أن تتسارع الدقائق بسرعة البرق ، نظر إليها وهي مُ زينة بأجمل اللباس البدوي، ووجها يضئ كالقمر في ليلة اكتماله، وهو غارق في حبه وعشقه الذي أصبح حقيقة لا خيالا .

سمع صوت أبيه يقول له :

باراس

هيا أسرع يا سعد بناقتك وأطلق سراحها بقمة هذا الجبل ، وعد بسرعة قبل وصول الناس ، فقد بدأوا يتوافدون من كل حدب وصوب .

وفي طريقه للجبل بدأت الزغاريد تنطلق من كل نافذة، شعر بالسعادة وأحس أنه أسعد إنسان على وجه الأرض ، وتحيط به الحفاوة والتبجيل من كل مكان .

وهناك وعلى قمة الجبل ، وفي ذلك الغار الذي أسماه هو بنفسه ، غار سلمى ،

انطلقت رصاصة مجهولة أصابته في مقتل ، طار الخبر بين الناس وكثر الصياح ، الرجال يهرعون ، وأم سعد تبكي بصوت يهز الجبال ، وترتج الأرض من هول الصدمة .

سمعت سلمى اسم سعد . فهرعت تجر ثوبها ودموعها تسبق كلماتها ، أخذت تصرخ وتبكي ... قتلوك يا سعد العمر ...قتلوا حبنا وعشقنا ... يا سعد سلمى لا تخون وعدك ...ولا تنكث بعهدك ... وسيكون هذا الغار قبري وقبرك...

جرى أبو سلمى خلفها... وكثر الصياح ... ولكن سلمى رمت بنفسها من ذلك الغار ، وسقطت جثة هامدة عند سعد ...

- ما لي أراك تبكي يا عدنان ...

- كيف لا أبكي وهذا الحب والعشق يموت بهذه الطريقة ، أي قلوب يحملها هؤلاء البشر ، يقتلون الحب برصاص الغدر والخيانة.
- هون عليك يا عدنان،سيجعل لك اللهبعد الشدة فرجاً، وسوف تكون أنت وملاك زوجين تعيشان بسلام وحب ووئام

وستحتفل الدنيا كلها بزواجكما وسأكون أول من يبارك لك ، دعني الآن أكمل...

ولقد تم دفنهما معاً في قبر واحد وفي نفس المكان ، ولا يدري القوم بأن سعد قد أطلق على هذا المكان ، الذي التقيا فيه بغار سلمى .

ذلك اليوم يا عدنان أبكى كل من حضر ، وكل من سمع بقصتهما الحزينة والمؤلمة ، بل لا يوجد بيت من حجر ولا مدر ، إلا وتجد البواكي فيه تذ رف الدموع؛ لأن سعد وسلمى سطرا قصة حب وعشق، لكُتبت بحروف من الدم .

هيا عدنان فقد حان وقت الرحيل ... وكفكف دموعك فخلف هذه الجبال الصلبة القاسية يوجد نور وشمس تفاءل خيراً يقع يا صديقي هيا بنا...

التقى عدنان بملاك في ليلة مقمرة ، وعندما شاهد ذلك الوجه الذي يتلألأ كالقمر قال : لا ادري يا ملاك هل نزل القمر للأسفل أم أنتِ طلعت للقمر ؟!!

ابتسمت ملاك فشعر عدنان بشوق ليس له مثيل في حياته، فضمها لصدره وقبلها مرات ومرات أحس بحبها ، كنهرٍ عذب كلما شرِ بَ منه از داد عطشاً، ذلك هو العشق والحب الصادق ، الذي خاف عدنان أن ينتهي ويتلاشى بين عشية وضحاها .

كان صمتها جميلا وطلعتها أجمل ، نظر عدنان لشعرها والرياح تداعبه وقال : صمتك يذبحني يا ملاك لمَ أنتِ صامتة هكذا ؟

نظرت للقمر ثم أخذت يده ووضعتها على قلبها: هل هو الخوف من المجهول ؟!!

ثم بدأت دموعها تسيل ، شعر عدنان بالخوف ما الذي يدور بخلدها؟!

ثم ألقت صدرها في حضن عدنان وضمته بقوة وقالت :

أحبك وأعشق فيك عقلك وطلاقة لسانك ، ولكن أخشى أن يموت حبنا في مهده .

أبي عنيد ولن يرضى بك ،وأنا أموت كل يوم عندما أراك .

لمَ هذه العادات تذبحنا ،لمَ هذه الأقدار تجمعنا لحظة ثم تفرقنا للأبد، ثم أجهشت بالبكاء.

لم يتمالك عدنان نفسه ، فسقطت دموعه على خد ملاك .فامتزجت دموعهما وأخذ يمسح دموعها وقال :

هذا هو قدرنا يا حبيبتي ، نعيش مع من نحب فيموتون أو يهاجرون ، أو يتخلى عنك في أشد لحظة تحتاجه فيها ، هذا هو قدرنا ؟!!

لا تبكي يا حبيبتي، أنا ما شعرت بطعم الحياة ، ولذتها وجمالها إلا من يوم عشقتك وأحببت فيك الطيبة والصدق والحب والوفاء . شعرتُ بحنانك وعطفك . كنت مسخً ا أعيش كجنازة بين الناس ...لا أشعر بطعم الحياة ، ولا أعرف الحب غير كلمات جوفاء صلبة تتلاعب اللسان بها ، حسب الظروف والزمان والمكان .

هناك يا ملاك أشياء لا نعيشها على حقيقتها وجوهرها، كالحب والصلاة والأخوة وهلم جراً ، بل نعيشها كصورة الظل للأصل ، مجرد سراب وخيال ، لهذا لا نجد هذه الأشياء الروحانية تمشي أمامنا على الأرض ، وتخاطبنا وجها لوجه مجرد خيالات .

ولكن هناك من يعيشها حقيقة ، وهم قلة كنقطة بيضاء في ليل دامس ، وأنا اليوم أعلنها لكِ صراحة ، إنني أعيش الحب حقيقة معك ، مثلي مثل ما حكى لي صديقي عمر بالأمس قصة حب وعشق حزينة لسعد وسلمى .

مسحت ملاك دموعها واستوت جالسة وقالت :

وهل هناك حب أروع من حبنا في هذا الكون الفسيح ؟!

وما قصة سعد وسلمى يا عدنان ؟

نعم هناك عشق وحب يقترب من حبنا ، ولكن حبنا وعشقنا أراه فوق كل الخيالات ، وفوق ما يتصوره البشر .

سأحكي لك لاحقاً قصة سعد وسلمى ، والآن هيا بنا قبل أن يرانا واشٍ ويعكر صفونا.

(٦)

في رحلة جميلة ذهب عمر وعدنان لذلك الوادي الرائع ، إنه وادي دوعن كان ذلك عام 2010م . رغم وعورة الطريق ، فلا إسفلت يريح المواطن ، ولكن ذلك الوادي يستحق المغامرة ، بجمال تضاريسه ، ونخيله التي بدأت تذبل وتتقاعد بسبب الإهمال ، كأني أرى دموع هذا الوادي ، تبكي فقد تغيرت بعض عاداته وتقاليده القديمة ، فذلك المواطن البسيط كان يحمل منجله و فأسه ، ويذهب المزرعة يسقي ذلك المقلع، ويشق القنوات ، ويقتلع الأشجار الضارة ، كان يقوم باكراً مع صراخ ا لديك ، وتستقبله الحمير بالنهيق ليقوم بالعمل عليها وهكذا دواليك.

واليوم تغير وجه ذلك الوادي ، مثله مثل غيره ، ترى ذلك الرجل البسيط ، جالس تحت شجرة يستظل تحتها ، وفمه مثل البالون ، وأعقاب السيجارة تملأ المكان ، يُخيل إليك أنك تشاهد مجموعة أغنام ، تأكل البرسيم ، ففشت السرقة والكذب والرشوة ، وما خفي كان أعظم .

قال عمر :

شيء غريب يا عدنان ، لو تم زراعة البن بدل القات والفواكه والخضروات ، أليس هذا كان أقرب للعقل والصواب ؟!

ضحك عدنان وهو يردد : لو ...لو ...لو ... تلك مصيبتنا نتكلم أكثر مما نعمل ، ثم استطرد عدنان وقال :

هل ترى هؤلاء البشر في (سوق الأربعاء ببضة) يحملون بنادقهم على أكتافهم ، وكأنه م في حرب طاحنة ، عادة ما كنا نعرفها ، كانت كالبركان الخامد ، تم دفنه وللأبد ، ثم جاء من يفتح تلك الفوهة وينفجر البركان من جديد ، تنقص هذه الشعوب الوعي والعلم ، لو يحمل هؤلاء القلم والكتاب ، بدل الرصاص والسلاح ، لكنا في كوكب المريخ .

ضحك عمر وقال : دع المريخ والبطيخ ، لو يزيحوا القمامة من شوارعنا ، ويردموا حفر المجاري التي طفحت كالبحر ، لو يسفلتوا الشوارع الرئيسية .

هيا بنا يا عدنان جئنا نتسلى ونمرح ، وأنت انقلبت أفلاطون زمانك تنتقد وتظهر العيوب ، ولكن ليس بيدك غير لسانك وعقلك .

وبعد جولة بقرى دوعن رحاب والخريبة وصيف وغيرها ، عادا أدراجهما لقريتهما بعد رحلة ممتعة ورائعة.

باراس

وبعد أن وصلا القرية ، جلسا بضعة أيام ، ورغم شوقه لملاك ، ولكنه آثر أن ينهي رحلته للمكلا فقد تاقت نفسه شوقاً ولهفةً لها .

وفي الصباح الباكر تحركنا من قريتنا بعد الفجر ،ركبنا سيارة بيدفورد (زيزو) كانت الطريق وعرة جداً ، كنا نهبط وننزل كأرجوحة الألعاب ، وصلنا رأس حويرة كاد البرد يقتلنا ،ترى البدو بشالاتهم الخضراء ،التي تملأ المكان وكأنه فريق رياضة أو كتيبة تستعد لمقاومة البرد وقسوة الحياة ،كان هناك كشك يبيع (الشُبلَب)عروق شجرة تستخدمها النساء للزينة .

وأخيراً وصلنا الأسفلت ،تنفسنا الصعداء ،كان صديقي عمر ينزل الكلمات متقطعة من شدة البرد ثم صمت ،نظرت للجبال الشاهقة حولي ،كأنها تحتضن أهلها على مضض ، لا يوجد ما يجعلك تحب هذه الأرض مثلها مثل قريتنا ،قاحلة وموحشة ،ولكنها التصقت بجلودنا وامتزجت بدمائنا،فلا هي تركتنا ولا نحن تخلينا عنها .

وصلنا (الأدواس) موقع فيه بعض الدكاكين الصغيرة وورشة ،لا يتجاوز عدد بيوتها الأربعة ،وهناك شاهدت منظرًا قبيحًا ،أصحاب القات منتشرون في كل مكان ،نزل صاحب السيارة وقد ظهرت أسارير وجهه وعينه للقات،نادانا وكأنه يزف إلينا بشرى وخبر سعيد وقال :

هل تريدون قات ؟

باراس

على نغم هذا الصوت كشف عمر رأسه وقال :

أين نحن ؟!

سكوتنا كان كافياً للرجل ،لينطلق ويجلب قاته وسيجارته وعلبة ماء صحة، هذا (الراشن) شيء روتيني لكل مخزن، والذي تجاوز متعاطوه في حضرموت وحدها نسبة مخيفة بين كل فئات المجتمع صرخ عمر لصاحب السيارة

يا أخي سرحنا البرد قتلنا ؟

لحظات وبدأنا المشي ثم صمت كل شيء ،لا تسمع إلا أزيز السيارة ،وصوت الهواء ، كأنه صوت طائرات حربية ، ثم صرخت لصديقي عمر ، انظر وصلنا عقبة (عبدالله غريب) ،كشف عمر الشال عن رأسه وقال:

لماذا سميت بهذا الاسم ؟!

قيل إن رجلا غريباً مات هنا ، يقال له عبدالله فسميت باسمه ،وقيل غير ذلك لا أدري حقيقة بشكل يقين ،ولكن هذه العقبة حصدت مئات الحوادث ،إنها في مكان مرتفع جداً وخطير ،وانحداره مخيف للأسفل.

تمسك لقد بدأنا بالنزول أدنى حركة من السائق خطأ تشهَّد بالله ..

قل خير يا عدنان ، ما زلنا شباب ولم نتزوج بعد.

ضحك عدنان وقال :

باراس

الموت لا يشاور أحد يا صديقي .ها قد اقتربنا من نهاية العقبة،أمامنا نقطة تفتيش، إنهم من تعز ،بدأ يفتش السيارة بدقة ، ولكن السائق عرف ما يريد ، فدس في جيبه ألف ريال، وأعطاه بعض أوراق القات ، كان هناك أكشاك على طول النقطة، وبيوت لا تتجاوزالعشرين بيت على مجرى السيل للوادي ، وانطلقنا نسابق الريح ،وصلنا منطقة العيون، أخذ السائق يعبئ البترول، كانت المعاصر منتشرة هنا لعمل السمسم رأيت البعير وهو يدور حول المعصرة لا يكل ولا يمل،في عمل روتينييومياً .

وأخيراً وصلنا المكلا ،تلقائياً نهض عمر وقال :

إني لأجد ريح المكلا يا عدنان .

فقلت له مازحاً :

انهض يا يعقوب قبل أن تجد ريح يوسف أيضاً.

يا عدنان المكلا ساحرة بهدوء أهلها وجميل بيوتها وساحلها وشعبها الطيب المسالم، شوقتنا المكلا وحلانها.

هل معك عشقيقة هنا أيضاً؟

يا عدنان كفى مزاحاً ودعنا نشرب شاي ، في (مقهى عمك هادي) بالديس مع ساندويتش، من لم يذهب إليه فهو مغبون .

نعم يا عمر ولا تنس (مقهى الباطنية) ،(ومقهى بارشيد)، وكم سنعدد من أماكن هنا لها رمزيتها،نعم نعم ، والآن دعنا نرتاح هنا في هذا المقهى الجميل على الشارع العام

الناس هنا ببساطة لبسها الحضرمي الأصيل ، تعيش بسعادة ورضى رغم كل الظروف القاسية المحيطة بهم ،هنا فرقة تلعب (الدومينو) وترتفع الأ صوات بحماس وتشجيع ، وهذا هو ديدنهم كل يوم ، والدك اكين تملأ الشوارع في طابور جميل ، ما يجعلك تحنق وتغضب هو المجاري وكثرتها، وعدم نظافة الشوارع بشكل دوري .

يا عدنان كل شيء تغير بعد الجراد الكاسح ،والمشكلة سرت العدوى لأهلها ،فتغيرت طباع الجيل الجديد ،وتأقلم مع الغرباء ، وغرف من طباعهم ، الله المستعان ياعمر ، الرئيس علي سالم يبغى يشمها عور عينها ،هيا بنا نتجول قليلا ، وبعد جولة رائعة في شوارع الديس والمكلا والشرج، ذهب عدنان يسلم على أهله ونام ليلته هناك .

يا ملاك العمر معقول أجدك هنا ،لا أصدق نفسي ،ما هذا الجمال الساحر ؟

يا عدنان افتقدتك كثيراً ، لا أستطيع أن أعيش بدونك ، صرت كالسمكة إن خرجت من الماء ماتت وكذلك حبنا.

دعينا نذهب الخور ونستنشق ذلك الهواء الجميل ، بحر المكلا غير يا ملاك، المكلا حورية تعيش بيننا يعشقها كل من رآها.

أخذ بيدها فشعر بسعادة عجيبة تسري في قلبه ، كانت يدهاألين من الحرير ، شعرت بخوف ولكن عدنان قال لها:
دعي الخوف سنذهب لنرمي كل أحزاننا في ذلك البحر الجميل.

أخذا يمشيان في منظر رومنسي لا مثيل له ، تمنى أنه يقبلها ولكن الناس كالغربان نظراتهم سهام مسمومة ، وألسنتهم أشد فتكاً من المناشير ، ثم عرجا لميناء المكلا ، وعلى نغم وموسيقى الأمواج جلس العاشقين ينظران بصمت للبحر ، وهو يغني لهما أغنية الوداع ، أين تلك الليالي الجميلة ، أين ذاك الصفاء وتلك الضحكات التي تطرب الآذان وتثلج الصدر ، كنا نعيش فـي صفاء العقل والفكر وراحة البال ، ثم صرنا كال وحوش نأكل بعضنا بعضاً عياناً ، طغت علينا المادة وضاعت الروحانيات ، فضاع الحب والألفة والمحبة ، حتى بين الأ قارب والأصحاب ، صارت مثل موسم العنب والموز تجدها نادرة، وفوق ذلك مدسوسة بمواد كيميائية ، وكذلك حياتنا اليوم ، مجاملات ونفاق ، لا يتجاوز ضحكة هستيرية ، وابتسامة عنصرية، لا تتجاوز حنجرته، وهكذا تدور حياتنا اليوم.

- عدنان هل غاب فكرك وعقلك ؟!

باراس

- فعلاً يا جوهرة قلبي لقد تهت في عالم آخر ، لقد أنساني البحر وهديره نفسي، فأيقظ في نفسي ماردًا، كلما حاولت أن ألجم فاه صرخ ، ولكنه صراخ وصراع داخلي.
هل ترين تلك السفينة الحمراء؟
لقد جنحت هنا ، وملأ المازوت هذه السواحل الذهبية، ومات عدد من الأسماك ، قيل بفعل فاعل ، وقيل غير ذلك، المهم ستظل شاهدة على ما حصل لأجيال.
- دعنا نخاطب الروح ، لا تُعكر مزاجنا بهذه المواجع، جئنا هنا لتسمو أحلامنا ، لنُضمد جراحنا ، لنغسل أحزاننا، هذا البحر يا عدنان هو من يحتضن مكلانا، هو اللوحة التي تُؤين كل ما يُحيط بها من جبال وسواحل ومبانٍ، البحر هو الروح هو الرأس، وكل ما حولك يمثل الجسد فقط .
- ما أجمل كلامك أيتها الغالية ، عندما يكون هناك حب نستطيع أن نصنع المستحيل في كل شؤون حياتنا، أحياناً يُخيل لي يا ملاك إنكِ حورية نزلت من البحر ، جمالك وحسن كلامك كأنهما جواهر تُؤين هذا الجسد الرائع.
- عدنان أي بحر يا ابني وأي جواهر !!!

باراس

- انهض حان وقت الفطور ، ألا زال يراودك ذلك الحلم، هل ملاك سحرت عقلك وفكرك لهذا الحد ، قم يا بني واستعذ بالله .؟؟؟

ودع عدنان أهله وخرج لصديقه عمر ، وجلسا أيامً ا معدودة في بيت خاله، ثم عادا إلى عشهما في تلك القرية الموحشة، صرخ عمر وقال :

يا طير ياضاوي إلى عشة ، قل لي متى تضوي إلى عشك، ضحك عدنان وقال عادت حليمة لعادتها القديمة

سأل عمر صديقه عدنان قائلاً:

ما الفرق بين الحب والحرب ؟!

فضحك عدنان وقال : حرف الراء ويمثل الرباء في حياتنا ومحق البركة .

يا صديقي الحب هو من يصنع المعجزات ، ويفجر المواهب وهو مفتاح التطور والتكنلوجيا الذي تراه اليوم ، الحب هو الذي يصنع السلام والوئام والأمن، الحب لا يقتل دجاجة إلا بعد مشاورات وصلاة استخارة وسؤال ضميره ، وحين يقدم على الذبح يداه ترتجفان من الخوف والهلع هذا هو الحب، الحب يصنع رجالاً بيع شعرة من الوطن يعتبر خيانة عظمى، وهنا حاميها حراميها يسرق الكحل من العين، ويصلي معك في الصف الأول، وهو مصاص دماء ، وما خفي كان أع ظم ، أما الحرب فسلاح الشيطان ونغمته

المفضلة ، يده على الزناد ، فيدمر ويهلك فيموت ويغرق الأمة معه في بحر الظلمات وعالم المجهول...

ولكن عمر أوقف عدنان وقال: صدقت وهذا الحب هو الذي يمثل مصباح علاء الدين ، وهو العصا السحرية لكل مشاكلنا ، من كان يمتلك الحب مستح يل يذبح حمامة ، مستحيل يا عدنان، ولكن ما تشاهده في عالمنا اليوم يشمئز منه كل إنسان ، لا قضاء ، لا تعليم ، لا اقتصاد ، لا حياة كريمة.

ذهب عدنان إلى وكره تائهاً حزيناً، لا يدري لماذا ذهب وماذا يريد ؟

هناك أحلام تراود وجدانه ، يشعر إنها تقيده تُكبل يديه ، كأنها حارس مارد على تفكيره وحريته وأحلامه ، يريد أن ينطلق بمكوك فضائي إلى عالم مجهول يكتشف أغواره ، يريد أن يرى الإبتسامة على وجوه كل الناس ، يريد أن يضع أفكاراً تحرر العقول لتثمر في مجتمعها ، وتزرع الشعير بدل الحمير ، تبث جميل الكلمات بدل الألم والحسرات ، يريد ير ى أشخاص يحبون الوطن ومصالح شعبه ، أشد حباً من أمه وأبيه أو يقارنهما ، لا يريد ألسنة تجيد الضرب على الوتر الحساس، لتلهب شعوبها وتصفق له، ثم تقتص دمها وتأكل لحمها ، وتوميها عظم ، العجيب هذا الشعب ينجب لنا ضباع مفترسة ، وتدور بالشعب كبعير المعصرة ،

كلما قلنا مات طاغية ولد طاغية ، سواء جاء من خلف الجبال البعيدة ، أو ولد وترعرع بين أحضان هذا الشعب ورضع من ثديه.

وهو غارق في تفكيره جاءه صديقه عمر .

- ما بك يا عدنان تغوص في بحر من الأحزان ؟!
- آه يا صديقي أحس بعقلي سينفجر ، أشعر إنني عالة في هذا الكون ، أثقلتُ كاهله، أريد أن أصبح إنسان خلقه الله لينفع البشر، لا أريد أن أكون كومة حجر ، وينشل جيلها من بحر الظلمات إلى النور والتطور والعلم ، نريد أ ن نغزو الفضاء ، وننشر السلام ، ديننا عظيم ، ولكن نحن من يحطمه ويدمره، نحن معاول هدم، فهمناه بطريقتنا وليس بطريقة من كان قبلنا، تقوقعنا في زاوية في المسجد ، وغرقنا في بعض الكتب ، ورمينا كل العلوم الأخرى خلف ظهرنا، النتيجة ما ترى اليوم!!
- يا عدنان دعني من أفكارك فإنني لا أفهمها .
- قل لي ماذا فعلت أيها العاشق الولهان مع جوهرة الزمان وملكة الجمال ؟!

ضحك عدنان وقال :

- كلما تذكرتها يا عمر أحسست بأن الحياة جميلة ورائعة، اسمها يثلج صدري، ورؤيتها تريح قلبي ، كأنها تقرأ أحياناً أفكاري، لهذا يعجبني حدة فهمها

وإدراكها ، هذه الفتاة جاءت في الوقت والزمان المناسب .

- عندي سؤال محيرني يا صديقي ، ماذا لو تزوجت أنت وتزوجت هي ، ولم تحققا حلمكما ؟!
- تصدق هذا السؤال يقتلني إجابته ، أراه كابوسًا مخيفًاأمامي ، ماذا لو ؟!

أحياناً تأتيني ما بين الحلم والمنام ،تعاتبني بل وتُصرَّح بأشياء أخشى أن تكون صحيحة ، أرجوك يا عمر لا تشوش على عقلي ، لا أدري فعلاً بماذا أُجيبك ؟

ولكن الذي أعرفه إنني سأظل أحبها ، أعشقها ولو غابت عني في كوكب زحل ، الحب ليس ترنيمات تنفد وتنساها الأذن ، الحب شيء يصعب وصفه بالكلمات وبأجمل العبارات ، الحب يلهمك شعور بالقوة والإلهام ، الحب في لحظة صادقة ، تهبك حياة جديدة، ولو كنت على حافةالانهيار واليأس.

ليتك تفهم ما أعنيه يا عمر؟

هناك أُناس يُحبون بألسنتهم ولبسهم ، وقلوبهم جوفاء، ووجدانهم وأحاسيسهم في عالم آخر؛ لهذا لا يشعرون به كما أشعر أنا أو عنترة ، أو قيس عندما أحب ليلى وقال فيها :

أمر على الديارِ ديارُ ليلى أُقبل ذا الجدار وذا الجدار

وما حُبُ الديارَ شَغَفنَ قلبي ولكن حُب من سكن الديار

ابتسم عمر وقال :

يا لروعة حديثك وسحر كلماتك ، دعني أقول لك إن حبك وعشقك هذا سيدخل التاريخ، عدنان وملاك، لم أر في عصرنا هذا ولا الذي قبله ،عشق صادق ومغامرات مثل حبكما.

اسمع يا عدنان قلبي معك ، حاول مع أبيها بكل ما أُوتيت من قوة ، لتجتمعا تحت سقف واحد ، وتنتهي رحلة عذابكما .

فقال عدنان :

ولكن قلبي يحدثني بأنها لن تكون لي ، هكذا تنتهي معظم قصص العذاب ، الحب ياصديقي في سطرين والباقي كله عذاب ، ولكن سأحاول بكل الطرق والوسائل.

هيا بنا يا صديقي فقد بدأ قرص الشمس على المغيب.

جلس عدنان في غرفته وأخذ ورقة وقلم وكتب لملاك :

(ليس هناك في قلبي وعقلي غير صورة ملاك ، لقد سلبتي عقلي وفكري وكل جوارحي ، علمت بما صار لكِ وكأنني أنا السجين بين أربعة جدران صماء ، أكتب لك هذه الكلمات بمداد دموعي ، فسامحيني فأنا السبب في كل جروحك وآلامك ، يُخيل لي بأنني كالطاعون من يقترب مني يصاب بالموت ، ولكن هذا قدري ومصيري يا أغلى الناس ، أرجوكِ اسمعي كلام أبوكِ وأمكِ ، لن أكون عائق

في طريقكم ، وأزرع بينكم الشقاق والفرُقة، سأرحل بعيداً ، وسأضع قلبي رهينة بين يديك ، ليس معي ما أقوله ولكن أقول: (لكُتبت علينا أقدار ومن لكُتبت عليه الأقدار مشاها). حبيبك دوماً وأبداً عدنان) .

ثم طوى الرسالة وأرسلها مع غيداء؛ لأنها الوحيدة التي يأمن لها ، أعطت غيداء الرسالة ملاك ، ففرحت بها فرحاً لا يوصف وقالت:

- كان قلبي يحدثني الآن ، بأنكِ ستحملين لي بشرى من عدنان ، كان قلبي يحدثني بأنه لن ينساني مهما حصل .
- نعم يا ملاك، عدنان رجل شهم ويستحق كل خير ، وقصتكم سارت بها الركبان ، لا يوجد بيت ولا حارة ، إلا وذكر ملاك وعدنان على لسانهم ، حتى أن بعض النسوة يغرن منكما ، تصدقين يا ملاك أنا نفسي أحس بهذه الغيرة ، وسوف أصارحك بشيء طالما كتمته في نفسي أشهر ، ويعذبني هذا السر كثيراً ؟!!
- ماهو يا غيداء أرجوكِ أنا صديقتك ملاك ، صحيح إنني عشت سنوات بالإمارات ولكنني ولدت هنا ، وترعرعت ، هنا ما السر الدفين يا غيداء يمكن أساعدك ؟!
- وهل تستطيعين ذلك يا ملاك ؟!

باراس

- نعم أستطيع أي شيء يسعدك يا حبيبة قلبي سأفعله ، ولو دفعت لكِ روحي ؟!
- روحك ، ضعي روحك في مكانه ، الشيء الذي يؤلمني هو أنتِ؟!
- ماذا أنا ياغيداء ، ماذا فعلت بكِ يا أغلى صديقة في العالم؟!
- نعم أنتِ يا ملاك ؟!!

ثم انفجرت تبكي وتحتضن ملاك وهي تقول :

- إنني متعلقة بعدنان منذ زمن بعيد أحببته ، ولكن لم أستطع مصارحته ، وأنا كل يوم أتعذب عندما أجدكما متحابين ، تقرأين رسائله ، وأنا أموت أحترق من الداخل ، فأذهب لغرفتي وأبكي بحرقة .
- مستحيل يا غيداء ولماذا لم تصارحيني سأترك لكِ عدنان لا أريد تحطيم قلبك ، أنتِ غالية وهو غال ، وكلاكما عينان في وجه واحد ؟
- لا يا ملاك لقد فات الآوان على ذلك ، لقد تعلق قلبه بك وصرتما روحاً واحدة ، بل سعادتي أن توفي بعهدك له، هل تعاهديني على هذا يا ملاك ؟
- نعم أعاهدك أن أظل له القلب والر وح، ولن أتخلى عنه مهما حصل.

ثم عانقتها غيداء وخرجت من عندها، لم تنم ملاك تلك الليلة، وظلت تفكر في غيداء المسكينة، كيف لم تلفت ا نتباه

عدنان ...الحب من طرف واحد قاتل ومدمر ، ربنا يكون بعونها ، قر أت رسالة عدنان مرات ومرات ، لقد كانت رسالة مليئة بالشوق والحب ، ثم قالت في نفسها :

ساكتب رداً يثلج صدره ويُعيد له البسمة ، وتضمد بها جروحه وآلامه .

(لا أدري ماذا أقول لك يا حبيبي ، سجنتُ بين أربعة جدران ، لم ارتكب جُرماً، غير أنني أحببتك من كل قلبي، ذرفت الدموع، وبمدادها كتبت رسالتي إليك؛ لأُجدد عهدي لك وميثاقي، سأظل أحبك ولن أتخلى عنك ، ولو قطعوني ألف قطعة ، الحب ليس مزاجً ا، ولا طردً ا يُباع بأبخس الأثمان ، الحب روح تسكن بداخلنا ، الحب هو الشريان الذي نعيش به ونحيا به ، الحب مثل الوردة والزرع تحتاج للماء والهواء والرعاية، فإن أُغفل ذلك عنها ذبلت الوردة ومات الزرع، وأنا وأنت كذلك، لن نفترق سأُضحي لأجلك بكل ما أملك، لقد بدأنا قصة حب وعشق صادقة ، يستحيل بيعها في سوق عكاظ ، أو السوق السوداء ، دع الأحزان يا قرة عيني ، بالحب نفرش الأرض ورو داً ورياحين ، دعنا نحلق في الكون ونطير على بساط الريح، انظر لل دنيا وكأنك ملك فيها وأنا أميرتك، وحولنا الخدم والحشم، بالعين التي نُبصر بها ، نرى الجمال حولنا ، وبنفس العين نرى الأحزان والآلام ، وكلاهما في وجه واحد ، فدعنا نراها بعين الجمال والروعة والبهجة ، دعنا نزرع الأمل ونحصد

السعادة ، انظر إلى تلك الحديقة الجميلة ، مليئة بكل أنواع الأعشاب والنباتات ، وحولنا الطيور تزقزق وتغني أغنية الحب والعشق ، مستحيل أن نفترق ، لا تبكي بعد اليوم يا حبيبي ، فملاك الروح معك وين ماتـروح، بالأمس كلمتني غيداء ، وأسرّت لي بسرها الخفي وقالت لي : بأنها تحبك وذرفت دموعها ، ولكن الحب من طرف واحد ، مستحيل أن يعيش ، فكُتِب له الموت قبل أن يبدأ ، وأخيراً طلبت مني أن أبقى معك كالروح في الجسد ، مسكينة غيداء تعرف قيمة العشق والحب، فلا يعرفه إلا من اكتوى بناره، وفي الختام أقول أحبك ، أحبك، وترجمها أنت بكل لغات العالم، لتعرف مكانتك عندي وغلاك ، أجمل أمنياتي لك ، ملاك).

سلمت ملاك الرسالة لغيداء فقد كانت غيداء كهدهد سليمان أمين وثقة .

قرأ عدنان الرسالة ، فـاشتعل قلبه وذرفت عيناه ، لقد اشتاق لرؤيتها ، فقد بلغ به الشوق والهيام مبلغاً عظيماً ، بدأت القرية تهمس بالقيل والقال ، وانقسم الناس بين مؤيد وبين معارض، فالحاسدين وأهل الشر والفتنة كان يوم عيد لهم ، فهم لا يتكاثرون إلا على الفضلات والأوساخ ، يطربهم الشر فألسنتهم كالمناشير في الأجساد ، هم كالخفافيش لا تظهر إلا ل يلاً، ولكن الحب أقوى من كل

العواصف والأنواء وهو راسخ رسوخ الجبال ، ولا تهزه رياح الحقد والوشاة .

أحس عمر بوجع في بطنه ، فأسرع عدنان وأخذه إلى المكلا بعد أن زاد الوجع والألم، كان عدنان خائف أن يفقد رفيق عمره وصديقه المقرب منه، دخل به عند طبيب من نفس المدينة، أجلسه على الكرسي، ثم بدأ يتكلم مع صديق له على الهاتف ، لم يتحمل عدنان أسلوب ه ذا الطبيب اللإنساني، وكأنه بدون ضمير ولا إحساس ، فصرخ بوجه وقال :

يا دكتور اتقِ الله الرجل يتألم عندك ، وكأن شيئًا لم يحدث ومشيت به من الريف قرابة ثلاثمائة كيلو متر ؟!

فصرخ الدكتور قائلاً :

اسمع عجبك هذا أو خذ مريضك الهند ؟!

سكت عدنان وكتم غيظه، فجاء الطبيب بسما عته وبدأ يتلفظ بألفاظ قذرة وقال: أنتم البدو شلينها قبولة ، ثم إنك قد تأخرت كثيرً ا بمريضك ، حالته خطيرة جداً ، وأفضل لك تأخذه للخارج إذا قدرت تنقذه ؟

لم يصبر عدنان وقال :

أنتم الأطباء هنا جزارون لا رحمة عندكم ، ولا ضمير ولا إنسانية ، كلامك هذا أمامه يدل على جهلك المركب ؛ لأنك بألفاظك هذه تقتله نفسياً ، ولو كان سليم الجسم ، لا بارك الله في أمثالكم .

ثم أخذ صديقه والطبيب يلاحقه بالسب والشتم ، نصحه أحد المارة أن يذهب به إلى عيادة طبيب عراقي في الشارع العام، خبير ومتخصص باطني، وهناك دخل على الطبيب فوجد ترحاباً وبشاشة وإبتسا مة، فأجلس عمر وبدأ يتفحصه وهو يقول:

ألم بسيط جداً لحظات ويشفى لا تخف ، خذ هذا العلاج واستخدمه يومين فقط ، مجرد ماغص شديد .

رافقتكم السلامة عيادتي في خدمتكم وقت وهذا كرتي

ربنا يشفيك يا عمر قل آمين ؟!

فرد عمر وهو قابض على بطنه وقال :

آمين يا دكتور شكراً لك.

فقال عدنان:

الدكاترة عندنا يا دكتور بلا أخلاق وبلا أدب ليتهم كلهم عراقيون وأجانب هنا ؟

فرد الطبيب العراقي وقال:

ليسوا كله م يا صديقي ففيهم النزيه والخبير ، وللأسف تخرج شباب من جامعاتكم ، لو ذه بوا العراق بشهادتهم ، لجعلوهم حرس على أبواب السجون، لقلة تعليمهم وفظاظة ألسنتهم.

هز عدنان رأسه مؤيد له، وخرج بصديقه عمر، وبعد أن اشترى العلاج وشربه عمر، ذهب الألم وكأن شيئاً لم يحدث.

أخذ الصديقان جولة في المكلا ، وأمام تلك السفينة الحمراء ذات الصريت السريع تذكر عدنان كيف جنحت هنا ، وأخذ المازوت يُغير شواطئ المكلا الجميل، وقال: يا عمر ترتاح نفسي هنا ، مدينة المكلا تهز الوجدان ، سواحلها جميلة وجذابة ، نسيمها عليل وأهلها طيبون ، لولا هذه الشجرة الخبيثة، لكانت المكلا جنتي وبستاني ، لقد أفسدت الشباب .

هل تعرف مسجد الشهداء ومسجد عمر ؟

هما علمان، وأخص بهما الذكر ؛ لأنهما على كل لسان لتاريخهم ا وسعة حجمهما ، أكثر صلواتي فيهما ، كانت المساجد لا تغلق أبداً ، كل شيء كان في أمان ، حتى دار الزمن واختلط الحابل بالنابل ، تغير كل شيء وصرنا إلى الحضيض ، ورجعنا للخلف ألف سنة ، انتشر القات والرشوة والسرقة ووو...

- يكفي يا عدنان أنا ابن حضرموت أعرف ما تعرفه وأكثر ، دعنا نخرج الشرج والديس ، ونطوف بمنطقة (خلف) و(فوة) و(روكب) جولة مكوكية ، وغداً أرضك يا غريب...

ضحك عدنان وقال :

- ما رأيك تخزينة قات تنسيك همك وغمك ؟!!
- هيا بنا فإن ذكر هذه الشجرة أشد وقعاً عليَّ من المخدرات والخمر، أفسدت البلاد والعباد .

- المكلا تشعر فيها بالراحة والاستجمام، وخور المكلا زادها جمالاً فوق جمال، وجسر الصين ، ومنارة المحضار، وحصيحصة وبروم وكم سأذكر لك ففي كل شبر منها لنا ذكريات ورحلات .

خور المكلا يا عمر أ شبهه بنهر صغير تداعب مياهه البحر، والناس على أطرافه ما بين ذي حاجة أو غريب أو سائح في شوارعها ، يستظل تحت جبالها ويُمتع ناظريه ما بين شطآنها، والبحر ما بين مدٍ وجزر، كأنه يغني أغنية الغائب عن وطنه وأهله وترابه الغالي.

ثم طلب عدنان من عمر أن يرافقه للبيت ، سيرى أهله ثم يودعهم، رفض عمر ولكن عدنان أصر على ذلك .

******

- إلى أين تأخذني يا عدنان ؟!
- اركبي يا ملاك عمري ، سنذهب إلى المريخ ، لقد اشتقت إليكِ كثيراً.
- بدأ عدنان يقود سيارته التي طالما حلم بها ، وإلى جانبه هذه الجوهرة الغالية ملاك الروح ، وعلى نسيم جو المكلا وبحرها الرائع ، شغل عدنان أغنية أم كلثوم ، وغ اص الإثنين في عالم آخر ، جو رومانسي ليس له مثيل.

باراس

في تلك اللحظة نسي عدنان كل همومه وأحزانه ، وأخذ يردد مع أم كلثوم ، وضحكنا ضحك طفلين معاً ، أعطني حريتي اطلق يديا، آه من قيدٍ أدمى معصمي.

ثم أخذ يصرخ وهو يضحك: أحبك يا ملاك ، أحبك عدد الحجر والشجر ، لا أريد أن أتذكر أي شي ء، فلتتبخر الأحزان فلتذهب للجحيم .

كانت السيارة تطير كبساط الريح:

- يا ملاك جئت المكلا وقلبي يقطر دماً ، رغم حبي لها وعشقي لبحرها، وشطآنها وهواءها الذي يسلب العقل ، فقابلت أبي بالأمس لكي أحتضنه كطفلٍ صغير ، اشتقت لهم جميعاً ، فرأيت صورة شيطان يتربص بي وليس ببشر، فتذكرتك يا ملاك عمري ، يا جوهرة قلبي وعقلي وفكري ، عندما أراكِ يا حياتي، تتساقط كل همومي كأوراق الشجر في يومٍ عاصف.
- وإلى أين تطير بي يا حبيبي ؟!!
- سنذهب لأجمل مكان ، كنت أذهب إليه زمان فأجد راحة لا مثيل لها ، منطقة (بروم)، هناك أشعر بنسيم العشاق يا ملاك.

انعطفت سيارته يميناً، ثم خرجا وعلى سفح ربوةٍ جلسا يتبادلان الحديث، نظر إليها وإذا به يرى منها جمالاً يفوق كل الوصف، وكأنه أول مرة يشاهدها.

هل لهذا المكان الجميل دور في هذا السحر الجذاب ؟!!
فزاد جمالها وأظهر حُسنها وبهائها .

حاول عدنان أن يقترب منها ، ويقبل خدها الجميل ولكنها منعته وقالت :

- نحن هنا في المدينة ولسنا في كهفك يا عدنان .
- نعم لقد نسيت نفسي جمالك سحرني ، مع نغمات الموج شعرت إنني بحاجة لأعتنقك وأضمك إلى صدري، أغوص في عينيك الساحرتين ، فأرى عالمًا آخر مليء بالحب والألفة والتعاطف .
- أنا معك ، وسأظل معك ما حييت.

وضع يده على كتفها وضمها إليه، وصارا ينظران لصوت البحر وأمواجه الجميلة .

وعند حلول المغرب ، وقد أسدل الليل ستاره الأسود ، نهضت ملاك لتتجهز للرحيل ، ولكن انزلقت رجلها وسقطت في البحر .

صار عدنان يصرخ ، هو لا يجيد السباحة ، كانت ملاك تبتسم وهي تغوص ، ويسحبها البحر بعيداً.

لكن عدنان قرر أن يرمي نفسه معها، إما أن ينقذها وإما يموتان معاً ، ولكنه شعر بيداً تمسك به من الخلف ، نظر وإذا برجل صياد يقول له :

فات الأوان يا رجل لقد ماتت ، قفز رجلان كانا بالقرب منهما ، لقد أخرجا ملاك جثة هامدة .

صار عدنان يهذي ويصرخ :

ملاك ملاك، أنا السبب يا ملاك ما فائدة الحياة بعدك ، ملاك .. ملاك لا تتركيني ، أيها البحر كنت الصديق لي ، وأصبحت ألدَّ أعدائي ، لا أريد رؤيتك بعد اليوم ، سأرحل بعيداً عنك ، كل من أحببته طعنني في ظهري ، لقد أخذت أعز وأحب الناس إلى قلبي، ملاك لا تموتي بالكاد بدأ حبنا.

ولكن عدنان لم يشعر إلا بدموع أمه تتساقط عليه وهي تقول:

- ألهذه الدرجة تحبها يا حبيبي ، حتى هنا تحملها معك، في قلبك وخيالك ووجداك ؟!!
- الحمد لله إنني أحلم يا أمي .

نعم أحبها وأموت في عشقها ، اليوم الذي لا أراها فيه هو يومٌ عقيم لا راحة لي فيه .

وغادر هو وصديقه عمر المكلا وفعلاً صدق من قال : (بُعد المكلا شاق) .

(٧)

جاء جابر في ساعة متأخرة من الليل إلى عدنان ، طرق الباب بقوة فتح الباب عدنان فرأى وجه جابر متغير ، أدخله إلى مجلس الضيوف وقال :

- خير يا جابر .

هل حصل مكروه لأحد ؟

- غيداء يا عدنان تتبع رجلا لا أصل له ، لقد تغيرت تلك الطاهرة .

ماذا جرى كنت أنوي الزواج منها ؟!!

- استعذ بالله يا جابر ، لم أفهم أي شيء مما قلت .
- يا عدنان الناس كلها عرفت .

وأنت الذي نعتمد عليه أن يحافظ على هذه الجوهر ة لا يعرف؟!

- يا جابر لقد جئت أمس من المكلا ، ولست قاموسًا أحفظ كل شيء ؟!
- غيداء يا عدنان تعرَّ ف بها شخص لا أصل له ، يقولون إنه من منطقة تشتهر بالسحر ، لكن كيف جعلها كالخاتم في يده لا أحد يعرف ؟!
- تعني الساحر من بني جلدتنا؟!!
- للأسف نعم.

- لم يجد هذا الفاجر غير غيداء ، لمَ لا يأخذ سهام بسحره، غيداء هذه الفتاة الطاهرة التي تستحي أن ترفع وجهها في وجه أي إنسان ، عندما أسلمها رسالة لملاك كأنني أُسلمها ثعبان أو عقرب تخاف وترتجف .

غضب جابر وقال :

- سأقتل هذا الزنديق وأخلص الناس من شره .لم أعد أحتمل يا عدنان ؟!
- لا ترتكب حماقة يا جابر .

دعنا نفكر وغداً سألتقي ببقية الأصدقاء ، ونناقش الموضوع اذهب ونم والمثل الحضرمي يقول :

(تبات نار، تصبح رماد)

تصبح على خير يا جابر .

وما أن لاح أول خيوط الفجر حتى ذهب عدنان و اجتمع بالمجلس الا ستشاري من خيرة أصدقائه ، ولكن فـُوجئ بأحدهم يقول :

يا عدنان لا تتعب نفسك ، أنت وكل الأخوة ، أنا ذهبت لأبيها كي أنصحه، وأن هذا ساحر صرفها بقلمه وكفره، وليس رجلا ذا كفاءة، ولا نسب له، ومن عرق ضعيف بين القبائل، إنه (صبي) وسيكون مضحكة بين الناس، أتدرون ماذا كان رده ؟!!

قال: لا دخل لكم هذه ابنتي، وأنا حر أزوجها لمن أشاء، وهذا رجل ذو مال وهي أحبته، سواده ليس عيباً، ونسبه لا يهمني، المهم زوج سيستر فلذة كبدي من القيل والقال .

وخرجت من عنده وهو يقول :

لا أريد أرى أي أحد، اهتموا بشؤونكم أيها الغرباء ؟

فرد جابر:

وهل نصمت لهذا الساحر ؟!

فرد فهد وقال :

لقد سمعت قصصً ا يشيب من ذكرها الولدان ، هنا ك سحرة كبار حتى أن أحدهم قال لي:

والله شاهد بأم عينه رجلا من هذه المنطقة يقول لمجموعة حاضرين عنده:

هل ترون تلك الفتاة التي في البستان ، سأجعلها ترفع ثوبها لركبتيها ؟!

ثم بدأ يكتب في ظفره شيئاً ما ، والله يا جماعة بدأت الفتاة المسكينة تجري إلينا، وهي رافعة ثوبها حتى كشفت عن عورتها، لم نستطع أن نوقفه فالخوف قد بلغ بنا مبلغه ، خشية أن يضرنا بسحره ، ثم مسح ما بظفره ، والفتاة واقفة عندنا .

فقلنا لها :

ماذا جرى لكِ أيتها الفتاة ؟!

فقالت :

أما رأيتم السيل الكبير الذي اجتزته من الساقية.

غضب عمر وقال :

هؤلاء السحرة لا ناهي لهم لا قانون يردعهم.

قال جابر :

كان هناك ساحر معروف بالمكلا ، وهو من أخطر السحرة ، فكم زوجة فرقها من زوجها ، وكم فتاة هتك سترها ، ووقع في شر عمله ، لقد سحر زوجة رجل من قبيلة مشهورة بالغِيرة والشهامة ، الساحر هذا لا يخرج من بيته إلا خِلسة ، فقد تعرض للتهديد والوعيد، القات لا يبرح فمه النتن وكذلك سيجارته ، ويطلسم لكل من أراد، مقابل مبلغ من المال.

وذات يوم كان يخزن في شُرفة بيته، ولا يُرى إلا رأسه فقط ، كان يخاف على نفسه ، يعرف بأنه ضر أُناس كُثر ، وكان الرجل يتربص به ويراقبه كل يوم ، فما أن رآه حتى صوب بندقيته على رأسه فأرداه قتيلاً ، وكفى الناس شره وثار لعرضه ، وسُجلت الجريمة ضد مجهول .

قال عمر :

وقصة ذلك الرجل من الذي جاء من خارج حضرموت، معروفة ومشهورة كان صاحب كشك لبيع الخضرة ، فرأى بنت من بنات المكلا فأُعجب لجمالها وحسنها ، وذات يوم قال لأخيها الصغير :

باراس

سأعطيك نقوداً كثيرةً مقابل أن تأتي لي بشعرات من شعر أختك ؟

فوافق الطفل وقال في نفسه :

شعرات مقابل مبلغ من المال ، فرصة لا تعوض وماذا سيصنع بها ؟!!

فدخل غرفة أخته ، وأخذ يسحب الشعر من المشط الذي تسرح به شعرها، ولحسن الحظ دخلت أمه ورأت صنيعه ، فلما سألته أخبرها الخبر .

فقالت له :

لا عليك أنا سأعطيك الشعر ، ولا تخبر أحداً غداً سأجهزه لك بنفسي .

وأخبرت زوجها بالأمر ،أما الأم فأخذت شُعيرات من كبش عندها وعطرتها، وعملت لها بعض البخور والطيب، ثم أرسلتها مع ولدها ، فلما استلمها صاحبنا أعطى الولد مبلغ مغري من المال، ثم ذهب لبيته وعمل لها السحر ، بعد أن كفر بالله وأرضى الجن والعياذ بالله .

وفي الصباح كان هذا الرجل سعيداً جداً ، سينال مبتغاه من بنت الحضرمي المسكين ، فوجئ بالكبش يأتي إليه ويتمسح به، ووالد البنت يراقب االرجل ، حتى شاع أمره ، وتم التبليغ عليه وانتهت القصة .

فرح جابر وقال :

سينال عقابه الرادع يستاهل.

فضحك عمر وقال :

من سيعاقب من ؟!

لقد خرج بعد يومين، ولكنه ذهب لمكان آخر بدَّ ل جلده فقط.

لقد تذكرت قصة تحكيها جدتي ، وكنت أظنها من الخرافات والخزعبلات، لكن اليوم تأكدت بأن كل ما يقال عن السحرة صحيح، تقول جدتي هذا رجل من حضرموت:

كان وسيمًا جداً، فأحبته امرأة مطلقة، فتعلق بها وأحبها، ولكن أهله منعوه من الزواج منها ، قيل إنها فاجرة ، ولكن الشاب تعلق بها وهام عشقاً ، لجمالها الجذاب ، فقرر الأب أن يهاجر ابنه للسعودية خوفاً على ابنه من تلك المرأة ، كان الشاب ذكياً ورجلا لا يتبع هواه .

زارها ذات يوم وأخبرها بسفره، فغضبت وحاولت منعه، ولكنه أخبرها بأنه لا يستطيع عصيان أبيه، ولكنه وعدها بالزواج بعد سنة، حاول ت أن تغريه بالوقوع بها، ولكنه رفض واستعصم وغضب ، فلما أحست بأنه سيفلت منها قالت :

أردت تجربتك فقط هل تحبني أم هي نزوة شاب طائش ؟!

فأظهر لها الحب والعشق ، فأخذت مقص وأسرعت لرأسه وقصت بعض الشعرات وقالت :

باراس

هذه ذكرى لي ، قبل أن تسافر سأعطيك ذكرى أحتفظ بها حتى تعود ، وافق الرجل وفي الصباح جاء يودعها ، فأعطته جلدًا مخيطًا عدة طبقات وقالت:

هذه هديتي لك شعيرات من ر أسي ، لتظل تذكرني في غربتك ، أخذها الرجل وسافر، كان الرجل أشد ذكاء وحنكة، فقد ذبح قبل سفره كبش وسلخ أديمه، ووضع ذلك الجلد فيه، وما أن وصل حتى قفز ذلك السقا، وبداخله الجلد من كتفه يتحرك ويضطرب فعرف أنه سحر ، فأخبر شيخ هناك وتم إنقاذه من شر تلك المرأة ومن ذلك السحر الذي كان سيحرمه عقله وحياته .

القصص يا جماعة كثيرة ، أنصحكم وأنصح نفسي بالتحصن والأذكار وقراءة القرآن يومياً ، فالتحصين ينقذك بإذن الله من شر الأنس والجان ، مشكلة قوانين اليمن لا تعاقب السحرة ، الذي شرهم أشد فتكاً من كل جرائم العصر؛ لأن السحر يسلبك عقلك وإرادتك، وتصبح كالخاتم في يد من عمل لك السحر ، لا حول لك ولا قوة .

كلكم تعرفون صديقنا جعفر، وكيف سحرته أخته لتأخذ هذه الفاجرة كل ما ورثه من أبيه ، من عمارات وفلل داخل السعودية، مسكين جعفر جلست معه كان طيبًا جداً ، أصبح يأكل مع القطط وثيابه رثة ، وشعره مجعد ، متسخ الملابس ، وقد كان شابًا وسيمًا، ومتعلمًا ومثقفًا كان يحب أخته كثيراً ، ولكن الفاجرة أغرتها العمارات ووسخ الدنيا،

عندما زرته في المكلا دمعت عيناي ، وجدت أولاده عنده في شقة قذ رة، توحي للناس أنها سوف تعالجه، بعدها انقطعت أخباره، فلا ندري أي أرض ابتلعته .

لقد انتصف الليل يا أصدقاء وحان وقت الإنصراف تصبحون على خير .

ملاك ما فعلت غيداء الطاهرة كيف حصل هذا ؟!

أخذت ملاك تبكي بحسرة وقالت:

منذ أيام وغيد اء تبكي لوحدها ولم يعجبني حالها ، تغيرت فجأة وصارت تكلمني عن رجل اسمه عُبيد ، تقول إنها شاهدته لأول مرة في حياتها هناك ، خرجت مع أهلها في زيارة لبعض معارفها ، ومن يومها تغيرت غيداء .

وقالت : إنها تشعر بضيق في صدرها تريد أن تطير إليه، وصارت كالمجنونة تفكر فيه كل يوم، وذات يوم جاء رجل أسود قبيح اللون والهيئة ، فخطب غيداء ، رفض الأب رفضاً قاطعاً ، فخرجت غيداء من غرفتها تصرخ وهي تقول:

أريده يا أبي خلصني من عذابي زوجني به ، سأقتل نفسي إن لم أتزوجه فوراً. فزوجها أبيها هذا الرجل القبيح فوراً ودفع الرجل مالاً كثيراً.

وبعدها لم أشاهدها أبداً، فقال عدنان :

مسكينة غيداء تزوجته تحت قوة السحر والعياذ بالله

ماذا يجري يا ملاك من نحبهم يعيشون بعيداً عنا ، ودونهم سدود وحواجز ، وغيرنا يأتي من خلف تلك الجبال، ويختطف أجمل وأطهر فتاة ، لقد حزن جابر كثيراً ، كان قاب قوسين أو أدنى من خطبتها ، ويتزوجها هذا العبد النجس ، الذي لا أصل له ولا خُلق ، بسحره وكفره بالله!!

صبراً يا عدنان هذا هو حال الدنيا نكد وهم وأحزان ، وتلك الآخرة هي الحياة الباقية ، لولا الصبر والإيمان ما عشت بعدها يوماً واحداً ، غيداء هي ونيستي في وحشتي .

يا عدنان يكفي أن أبي حرمني من كل شيء منك ، ومن حياة أعيشها بسلام وحب وعطف .

لا تقولي هذا يا ملاك عمري، كل شيء يذهب يُعوض، إلا الإيمان بالله ورسوله ، والعمل الصالح هو من يبقى ويدوم، ألم تسمعي قول الشاعر:

نفسي التي تملك الأشياء ذاهبة فكيف أبكي على شيء إذا ذهب ا

صدقت يا عدنان ، إنك تعطيني الأمل كلما ضاقت بي الدنيا ، رغم كل أحزانك وجروحك ، همك إسعاد غيرك ورسم الابتسامة على وجههم .

الحب يا ملاك هو العصا السحرية التي نبدد بها كل أحزاننا ، الحب الحقيقي وليس مجرد كلمات جوفاء لا حياة فيها ، تقال من أطراف اللسان ، الحب هو مشاعر

وأحاسيس تبث الحياة في تلك الأجساد الجامدة ، التي يُخيل إليك إنها كإعجاز نخلٍ خاوية ، الحب هو ذلك العشق الذي يزرع الأمل ، ويشحن العقل والفكر بطاقة غريبة ، هذه الطاقة خفية ، ولكنها تصنع العجائب ، وتشعل المواهب ، وليس الحب لعب بالمشاعر والاحاسيس ؛ ليصطاد به الفراشات ، التي حُرِمت الحب والحنان ، فتسقط ضحية ذئب مفترس، الحب أسماء من ذلك يا ملاك ، العشق هي لوحة ترسمها يد فنان ، تظل باقية لكل الأجيال ، وسنظل كذلك يا ملاك ، أنتِ الجو هرة التي سيتحدث عنها كل البشرية، مثل ما خُلِدَ عشق وحب ليلى وقيس ،سيخلد عشق وحب عدنان وملاك .

صف لي ياعدنان أجمل لقاء مع ملاك ، فحبكما أصبح حديث السمار ؟!

آه يا عمر، ملاك هذه ملكت قلبي وسلبت عقلي ، أحس إنني محتاج لها في كل لحظة في حياتي ، حتى ولو لم أتزوجها لا سمح الله ، أريدها أمامي وفي خيالي وفي سويداء عيني.

أسمع يا عمر ذات يوم أشتقت لها شوقاً لا يُطاق حتى كاد قلبي ينفطر لرؤيتها ، جعلني لا أجد للطعام والشراب أي شهية ، فذهبت ألتمسها في ذلك الطريق الذي تمر به ، ولكن للأسف لم تمر ، وهكذا صرت كل يوم أترصد ذلك

الطريق، فلما ضاق بي الأمر ، تسللت إلى بيتها في الليل رغم شدة الخطر ، كنت أريد معرفة ما الذي جرى لها ؟!!

وعند شجرة الرمان وقفتُ كالعمود لا حراك لي ، لو جاء طائرٌ لوقف على رأسي ، كان البرد شديدً ا ذلك اليوم في فصل شتاء قارس .

ولماذا لا تدخل غرفتها طالما وقد غامرت بهذه المغامرة الخطيرة ؟!

لا أريد ذلك، ولكن الخطة (أ)هذه حالياً ، ما لم سنتحول للخطة البديلة (ب) وسنقتحم غرفتها .

ضحك عمر وقال :

وبعدين يا جيمس بون ؟

كنت أعرف أنها تخرج كل ليلة وتستند بهذه الشجرة ، تجلس ساعة حتى ولو كان الجو شديد البرودة ؛ لأن هنا التقيت بها مراراً، وهنا ستجد رائحتي وبقايا ذكرياتي ، هنا ضميتها لصدري ومسحت على شعرها الذهبي.

كل ذلك حصل يا عمر والناس هجوع ، ولكن العاشق لا ينام ؟!!

أكمل يا عدنان لقد صرت كالعود ، بل قل كالصنم وم اذا حصل بعد ذلك ؟!!

تسمرت من شدة البرودة ولا أثر لخروجها ، قررت الرجوع في آخر لحظة ، وعندما ه مت بالانصراف رأيتها تخرج وهي ترتدي فستان أحمر ، وشعرها يتماوج

باراس

مع الريح ، نسيت شدة البرد ، وهي تقترب مني، شممت رائحتها الزكية، وقفت مكاني كالصنم ، فجاءت و أسندت ظهرها للشجرة وجلست ترنو للقمر ، ثم رأيت دموعها تنزل كحبات اللؤلؤ، حينها فقط أغمضت عينيها من خلف ظهرها ، كادت تصرخ لولا أنني أغلقت فمها، ثم التفت إليها وهي خائفة مرعوبة ترتجف كالسنبلة ، ضممتها إلى صدري شهقت، لا تصدق أنني غامرت لأجلها ، شعرت بأنني أرتجف وقالت :

- فعلتها يا عدنان ...فعلتها ستهلك نفسك يا قرة عيني؟!

ابتسمت وكان صوتي خافت ويتقطع من شدة البرد:

- نعم فعلتها ، وهل هناك أجمل وأرق من ملاك وتفاحة قلبي ، افتقدك كثيراً ، شعرت بشيء خرج مني كأنها روحي، فذهبت أبحث عنها بكل مكان ، فوق الأرض وتحت الأرض وبين النجوم والكواكب ، ثم وجدتها تحت القمر ، ضممتها إلى صدري وقبلتها بين عينيها .
- عدنان ارحل قبل أن يكتشف أمرنا أرجوك ؟
- لكن غداً سأراكِ عند شجرة السدر ، فإن شعرتِ بأحد يراقبنا سأضع لك إشارة وداعاً ..
- يا لك من عاشق متهور، صدق من قال : الحب أعمى.

باراس

- وهل قابلتها عند شجرة السدر ؟!!
- ذهبت إلى ذلك المكان قبلها، صرت أراقب هل من حركة تراقبني ، فقمت بالتمويه وجئت من مكان آخر ، ثم عدت لمكاني ، فبصرت شخصين بمنظارهما أفسد ا عليَّ هذا اللقاء ، فغيرت الموقع وقبل ذهابي وضعت ل ها علامة لتعرف مكاني الجديد.
- وهل تستطيع قراءة رسالتك عند شجرة السدر ؟
- ربما ولكن أثق في عقلها وفراستها.

ذهبت ملاك برفقة غيداء للموعد، وقد حملن معهن فأسًا للتمويه، وبعد تعب ومشقة وصلن للمكان المحدد، ولكن لم تجد ملاك عدنان ، نظرت يميناً وشمالاً لا أثر له، فقلت غيداء:

- لقد نكث بوعده حبيبك يا ملاك ؟

ابتسمت ملاك وقالت :

- لا ... ليس عدنان الذي ينكث بوعده .

ربما هناك ثعالب ترصد تحركاتنا وقد غير المكان؟

- وكيف يا ذكية ستعرفين مكانه ، ولا يوجد أي شيء يدل على ذلك ؟
- مؤكد وضع إشارة ، دعينا نبحث عنها بالقرب من شجرة السدر .

باراس

- هذه واحدة ربط غصن أخضر بغصن مل يء بالشوك، وهذا يدل على أن المكان مراقب من قبل الثعالب.

وهذه الثانية مجموعة حجر لجهة الشمال سبع أحجار وبالقرب منها دائرة !!

- ماذا يعني هذا يا ملاك ؟!
- يدل أنه يختبئ تحت هذا الوادي ، جهة الشمال عند مكان به ماء.
- هيا بنا يا غيداء ، ألم أقل لكِ إن عدنان لا ينكث بوعده.

ثم ضحكت وأخذت فأسها ، وبد أت تقطع عودً ا من هنا وعودًا من هناك، تعبت الثعالب وغادرت مخدعها.

- وتم اللقاء بيننا يا عمر رغم تلك المراقبات ، لكي ينالوا من حبنا وعشقنا.
- اسمح أن أقول لك يا عدنان أنك لست جيمس بون، بل مندوب إبليس على وجه الأرض.

فضحك عدنان وقال :

- ألم أقل لك من يحب لا يخشى الغرق .
- إن كنت تعزني أريد قصة أشد مغامرة من هذه ؟
- وكيف استطعت الوصول إلى ملاك رغم كل الصعاب والتحديات؟

باراس

- اسمع يا عمر لقد كشفت كل ما عندي ، ولولا أنني أثق بك ما أخبرتك بكل شيء .

تغير وجه وعمر ، فأدرك عدنان أنه أخطأ في حقه ، فكما هي حيلته في الخروج من كل مأزق بسهولة ، فهو كالزئبق لا يستطيع أحد الإمساك به .

قال لصديقه :

أمزح معك ياصديقي ، اجلس فإن لم أحكِ لك كل ما سألت ، وأنت الصديق المخلص الذي لا أعرف أخ ولا قريب وصل بمنزلتك من قلبي، أحكي لمن ؟

هناك موقف شديد الخطورة ، فقد دخلت في تحد مع مجموعة ثعالب حاقدة تريد أن توقع بي.

والذي حمل لي الخبر صديق سمعهم يذكرون اسمي واسم ملاك .

وقال أحدهم : سنراقبهم ا شهراً كامل ليل نهار ، أينما ذهبا نذهب خفية وراءه م ا، فإن وجدنا عدنان مع ملاك أخبرنا أباها ، وأفسدنا عليه يومه وحبه ، ثم انطلقت ضحكاتهم كالطبل والمزامير .

وعندما وصلني الخبر أبلغت صديقي يقول لهم :

سمعت عدنان يقول : سيقابلها و أنتم تنظرون ولقد قبل التحدي !!!

فوصل الخبر لهم وبدأت الحراسات والمراقبات تنشط حولي ، فأرسلت رسالة لملاك أن تقابلني عند موقع الماء حسب الوعد الأخير..

فقال عمر : ولكن هذه المرة لن تسلم الجرة ، لقد تم تطويقك من كل الجهات يا جيمس بون، كيف ستفعلها وهل تعرف ملاك بما يحاك لك ؟!

- طبعا لا تعرف ، وفي اليوم الموعود ذهبت إلى وعدي متحدياً كل الصعاب.

****

- هل تعتقد يا صالح أن عدنان سوف يغامر ، ويكشف حبه وعشقه لأجل هذا التحدي ؟
- التزم الصمت ، وتلثم لكي لا يعرفك أحد ، وهناك مجموعة تترصد كل جهة، سنرى شجاعته وعشقه، سنجعله يدمره بنفسه .
- ولكن كيف سنعرف أنه سيأتي إلى هذا المكان ؟!!
- يا ذكي كلفنا أحدهم يراقب ملاك ويتبعها ويعرف وجهتها ويخبرنا، اصمت الآن.

مرت طفلة صغيرة بأغنامها ، وخلفها عجوز بالكاد تمشي ، فنظر صالح إليها وهو يضحك وقال :

وما الذي جعلكِ تسرحين بالغنم ، وقد بلغتي من الكبر عتيا ؟!

نظرت إليه بسخرية ثم نزلت للوادي .

وما هي إلا لحظات حتى ظهرت ملاك وغيداء ، وهنا جاء البشير يزف الخبر.

ولكن صالح قال : خلاص رأيناه اذهب وأخبر بقية القوم .

نزلت ملاك وغيداء إلى موقع الماء فلم تجد أحد .

فقالت ملاك :

- لقد كان ذكياً اليوم رأيت مراقبات غير طبيعية ، كل هذا لكي يقتلوا حبنا أي بشر هؤلاء يا غيداء، هؤلاء وحوش لا ترحم ؛ لهذا عدنان أحس بهم ، دعينا نحتطب ونعود سريعاً لقد مللت هؤلاء القوم وقريتهم، ليس لهم عمل غير ملاك وعدنان.
- ملاك تعالي هنا ، هذه مجم وعة حجر مثل الذي عملها قبل أيام، ولكنها تختلف تعالي وألقي نظرة ؟
- ثلاث دوائر الأ ولى فاضية ، والثانية مثلها والثالثة في وسطها حجر، وهذه أربع أحجار لجهة الجنوب.
- هيا بنا يا غيداء عدنان هنا، ولكن ما تفسير الأحجار وذلك الرمز ؟!!

إنه يقول :

- ستمرون على أول موقع للماء لا يوجد فيه أي ماء ، والثاني مثله والثالث ملىء بالماء ستجدوني عنده .

باراس

ماذا أقول يا غيداء ، إنني أحبه ولن أتركه بلوعته وشوقه.

هيا بنا سنغامر لأجل حبنا ، وعشقنا مهما كان عدد الثعالب وعدد الشباك...

أخذ صالح وقومه يكثفون المراقبة، وبدأوا يقتربون من ملاك مسافة نص ف كيلو فقط ، وأخيراً وصلت ملاك وغيداء ولكن لم تجد عدنان ، بل وجدت العجوز والطفلة الصغيرة ...

- وهكذا يا عمر تنتهي المغامرة ولكن لا ندري من فاز بالتحدي وعادت ملاك وغيداء الى بيتهما ؟!!!!
- ما هذا يا عدنان ولكن أين كنت أنت ، يعني خسرت وفازت الثعالب بالتحدي ؟!!

ضحك عدنان وقال: ربما يا عمر ربما .. ثم انصرف .. وعمر يلاحقه: بالله قل لي يا عدنان من فاز ؟!!

لم يلتفت عدنان بل قال:

العجوز...ثم أطلق ضحكة ارتجت لها الجبال ...حينها ضحك عمر وظلا يضحكان وهو يلحق به وقال : تقصد أنت العجوز ؟!

ومن غيرها يا عمر .

حينها فقط قال عمر: اسمح لي أن أقول لك :

أنت لست مندوب إبليس أنت إبليس نفسه .

(٨)

- سنذهب يا عمر غداً معاً ، ونخطب يد ملاك من العم مرزوق، أخشى أن أتيت بأبي أن يرفضنا ونكون مسبة بين العرب ، وكما تعلم أبي بالمدينة.

- ولكن سنذهب معاً لنرى بماذا نرجع؟!

- أشعربأننا سننجح في مهمتنا ، مادمت معي يا أغلى وأحب صديق إلى قلبي .

- هل أنت واثق أنه سيوافق ياعدنان ؟!

- ربما، لقد وعدتني ملاك بأنها ستمهد الطريق أمامي ، سنرى ما ستُفيه لنا الأيام، وإن غداً لناظره لقريب ؟

- وداعاً يا أعز صديق .

لم ينم عدنان تلك الليلة كان ينت ظر هذا اليوم بلهفة وشوق لا يوصف، وعندما لاحت أول خيوط الصباح صلى الفجر بالمسجد، ودعا الله أن يحفظه من شطحات الشيطان، وأن ييسر له هذا اليوم، وأن يفتح الله قلب عمه مرزوق ، ويوافق على ملاك القلب والروح .

تناول فطوره وذهب لصديقه عمر ، ولكن كم كان ت صدمته قاسية وشديدة ، وجد أ مة من الناس تتجمع أمام منزل عمر، وسيارات وحركة غير طبيعية، فوقف مشدوهاً خائفاً مرعوباً، هرع إليه أحد زملائه القدماء ، وبدون أي مقدمات قال له:

باراس

يا عدنا ن احمد الله ، لقد مات صديقك ورفيق دربك عُمر.

سقط مغشياً عليه حاول زميله تعزيته، وأن هذه مقادير الله، التفَّ حول عدنان جمع غفير ممن يعرفونه ، قال أحدهم :

لقد كان أعز صديق يحبه ، ولا يسامر ولا يمشي إلا معه، كانا كالروح في الجسد الواحد .

وانبرى آخر وقال :

كان عمر بجانبه في كل الصعاب ، فمن أين له بصديق ورفيق مثله ؟!

فاق عدنان بعد لحظات من الصدمة ، استرجع وآمن بقضاء الله وقدره، كانت عيناه لا تكف من الدمع ، وهو يرى صديقه جثة هامدة في حفرة ، والناس ترمي التراب والحجارة عليه.

ذهبت ياعمر وتتركني لمن؟

لم يعد هناك صديق أثق به بعدك أبداً، لن أجد قلباً كبيراً مثلك يا صديقي، هكذا ظل يحدث نفسه ...

فتح عينيه فوجد نفسه وحيداً بين المقابر .

حاول ينادي عمر بصوت يخنق الأنفاس :

عمر لمَ تركتني وحيداً هنا ، من سيكون معي في ذاك الكهف الموحش ، لقد انطفأ سراج قلبي وأظلمت الحياة بعدك ياعمر ؟

باراس

مرت الأيام والليالي ثقيلة على عدنان ، لم يبقَ معه غير ملاك، هناك سيجد راحته، وهناك سيزيح براكين تتفجر في جوفه من الأحزان والهموم .

شعر بشيء يكتم أنفاسه ، كأن جبال الأرض تضغط على صدره ، لم يجد ما يخفف من حزنه غير الولوج للكهف ، ذلك الكهف الذي يحمل عبق ورائحة صديقه ، ورفيق دربه عمر، وصل الغار مثقلاً بالأحزان والهموم .

وكم كانت سعادته لا توصف ولا تقدر بثمن .

رآها تنتظره والدموع تسيلُ من عينيها، لم يصدق نفسه فقد كان يتمنى وجودها في هذا الوقت الراهن لتضمد جراحه، ففراق الغالي غال ...

وقف كالصنم على فم الغار ، وعيناه لم تجف بعد من دموعها، لقد غاب وأفل كوكب كان يضيء حياته، كانت عيناه شاخصتين، كأنهما جمر من شدة ما ذرف من الدموع على فراق أعزاء أصدقائه.

زحفت إليه كالثعبان بصمت وسكون يخيم على ذلك الغار المليء بالذكريات، والأيام التي لا تنسى، ثم عانقته عناقاً أحس بالدفء والحنان .

هنا وفي هذا الغار كان يجتمع عدنان وعمر ، واليوم أصبح صديقه أثرًا بعد عين، ولم تبقَ إلاالذكريات، كأطلالٍ تحكي رائحة وعبق ذاك الزمان الجميل .

باراس

نظرت إلى عينيه ، وهي تحتضنه كطفلٍ صغير بين ذراعيها، وقالت :

لا تحزن ياعدنا ن ، هكذا هو الموت كالوحش الكاسر ، يختطف منا أعز الأحباب وخيرة الرجال.

أنا دنياك من اليوم ، لن أتركك مهما حصل ، سأكون لجنبك كالروح لا تفارقك أبداً، أنت عمري وفرحي وحزني أنت حياتي كلها يا عدنان ؟

تحشرجت الكلمات في صدره ، ونطق والغصة تخنقه وقال:

لقد خسرت أغلى صديق وأخ، هو من كان يداوي جراحي ، هو ونيسي في وحدتي ، هو من أسر له بكل أسراري، والآن أنا وحيد تائه في هذا الكون الموحش .

قبلتْه قُبلة أعادت له الحياة من جديد ، وكأنها طاقة غريبة أمدته بها؛ لتعيد له الحياة وتبث فيه الأمل ليقف على رجله، وينسى أحزانه وجراحه .

وقالت له :

وأين ذهبت ملاك؟

سوف أكون لجنبك ما حييت ، أنا ملاك يا عدنان ، أنا جوهرتك ، أنا سراج قلبك يا حبيبي .

احتضنها بقوة ودموع عينيه تتساقط كحبات المطر.

وقال:

دعينا نعتلي قمة هذا الجبل ، هناك لحظات جميلة في حياة المرء، لابد أن يعيشها كما هي ويتمتع بأسعد ما فيها، دعينا ننفخ الأحزان كالدخان في الهواء .

أخذ بيدها وجريا كطفلين معاً، كانت ضحكاتهما تدوي، وترددد أصداء الوادي صيحات و صرخات، كأنهما من يملك هذا الكون، نسيا كل شي ء في لحظ ة سعادة ونشوة ، كان لا يمل من عناقها بين الحين والآخر .

سماء مُلبدة بالغيوم ، وأزهارٌ وأشجارٌ تعانق الطبيعة بمناظرها الخلابة ، كان كل شي ء حولهما يوحي بقمة السعادة والانشراح .

فجأة صمت كل شيء ، وتوقفت ساعة الزمن ، انقلبت السعادة إلى كابوس مخيف، كان دوام الحال مُ حال، سكتت الكلمات وساد الصمت ، توقفت عقارب الساعة ، كادت ملاك أن يُغمى عليها .

ظهر أبوها وقد تنامى لمسامعه أن ابنته تعشق عدنان ، وأنهما في قمة الجبل، وكم حذرها وتوعدها وسجنها .

احتمت ملاك بعشيقها وفارس أحلامها عدنان .

صرخ وزمجر أبوها متهماً عدنان بأبشع التُهم وتوعد بالعقاب الشديد لملاك .

تكلم عدنان بشجاعة منقطعة النظير وقال :

اسمع ياعم مرزوق، نحن نحب بعضنا ونريد أن نتزوج فهل تعترض طريق حبنا وعشقنا ؟!

نظر لعدنان نظرة شزرا وقال :

أنت تختطف هذا الجمال، وهذا القمر الذي يسلب العقول، ويصرع ذ ا اللب، وأنت فقير معدم ، هذه لن ولن تكون إلا لمن يملك العقارات ، وسأزوجها من كبار الأعيان، ومن ذوي الشخصيات المرموقة .

طأطأ عدنان رأسه وقد أحس بكلمات أبيها ، كأنها وخزات سهم مسموم اخترق فؤاده .

وهنا تدخلت ملاك وأزاحت شبح الخوف والهلع من أبيها وقالت:

ولكنني أحب عدنان ولن أتزوج إلا به ؟

نظر إليها وعنفها بالكلام وقال :

لقد ربيتك صغيرة وأطعمتك من لحمي ، فلما كبرتي أصبح أمرك بيدي، وأنا من سيزوجك من كبار الشخصيات، وذوي الأموال والعقارات، وليس هذا المعدم المفلس، ليس معه غير عشقه ودموعه يتاجر بها ، وكلمات العشق والغرام التي لا تسقي الظمآن شربة ماء .

ثم أخذها بذراعها وشدها بعنف، وساقها كالثور أمامه.

نظر عدنان وملا ك قلبه يسوقها ذلك الشيخ المعتوه ، وكاد يرتكب حماقة في ذل ك اليوم المشؤوم ، لولا أنه تماسك أعصابه، كان الموقف شديداً على عدنان وملاك .

دخل الغار وساد صمت مخيف، هل يحزن ويتألم لفراق صديقه، أم يتحسر ويبكي لمن لم يستطع تخليصها من يد ذلك الشيخ الخرف؟!!

أسند ظهره لصخرة في كهفه ، وغاص في نوم عميق ، فلم يذق طعم النوم منذ يوم أمس .

انتشر خبر عدن ان وملاك انتشار النار في الهشيم ، وانقسم الناس ما بين مؤيد لعدنان، وما بين معارض لهذا الأسلوب من كلاهما .

ولكن عدنان لم يعر ذلك اهتمامً ا، بل ظلَّ يفكر في مصير ملاك بيد ذلك العجوز الخرف ، الذي جعل جمال ابنته سلعة يساوم بها كبار التجار، وذوي المال والنفوذ .

لقد فكر طويلاً عدنان وأخيراً اهتدى لفكرة شيطانية ، لتخليص ملاك من يد ذلك الأب الجشع ، كان القمر في أبهى صورته ذلك اليوم، قرر الذهاب بنفسه لرؤية ملاك ، وشرح الخطة ليعيشا بعيداً عن أعين كل حاسد وجشع طماع، هكذا سولت له نفسه عندما طغى الحب والهيام على قلبه.

تذكر كلمات لملاك عندما قالت له ذات يوم :

عندما أشعر بحزن يعتصر فؤادي أهرع لمزرعتي التي تقع في فناء بيتنا الواسع، فأجد سعادة تغمرني يا عدنان.

قال في نفسه :

لذا لو صدق حدسي، لابد أنها في المزرعة الآن ، تسلل خفية حتى وصل طرف الحائط تسلق بصعوبة ، وقفز للمزرعة كالذئب الذي يحسب لخطواته عندما يرى فريسته

جلس تحت شجرة كبيرة الجذع ، وأسند ظهره إليها ، منتظراً خروج ملاك.

كان القمر ساطع النور، يكشف أمامه كل صغيرة حتى دبيب النمل الأحمر ،

طلت ملاك بصورتها البهية ، وقامتها الندية ، كأنها الكوكب الدري في الأفق،

فوقف عدنان وقد تسمرت عيناه من ذاك الجمال،

وأمامه حورية من الجنان، وذلك الثوب الشفاف بلون الزهر كان وجهها يتلألأ، ويزداد جمالاً وروعة .

قمر في السماء وقمر على وجه الأرض، هذا جمال يفوق الوصف والخيال، وتصعب الكلمات أن تصف حسنها الجذاب، وتقف الأقلام حائرة من أين تبدأ وكيف تبدأ بوصف ملاك يسلب العقول بحسنه الفتاك ؟!!

يا للهول أهذه ملاك شيء لايصدق، فسبحان الله صدق من قال ومن الحب ما قتل ؟!!

صرخ بدون شعور ولا إرادة وبلا وعي .

يا ملاك قلبي وروحي أين ستذهبين مني ؟!!

وارتسمت ابتسامة عريضة تنم عن مغامرة تستحق ثناء العاشق الولهان .

باراس

نظرت إليه وهي تجري وواضعة يدها ع لى فمها ، وتعانقا عناقاً طويلاً، صار يقبلها كالمجنون، يتلمس شعرها الذهبي ، يضع يديه على وجنتيها يضمها وتكاد دموعه تلامس الأرض .

ثم نطق وقال:

لقد افتقدتك يا ملاك ، ولا أستطيع العيش بدونك ، إنني كالسمكة عندما تخرج من البحر تموت ، ولن أسمح لهذا العجوز الخرف أن يحرمني من حبي وعشقي مهما حصل

حيرها وحينها فقط ضمته ضمة ، كادت تخنق أنفاسه وأنفاسها، ودموعها تتساقط كحبات اللؤلؤ على الأرض

وقالت :

سنرحل ياعدنان بعد أسبوع هكذا قرر أبي .

وقال: لقد كثر القيل والقال والرح يل هو الأسلم لنا من ألسنة الناس، ولقد اتخذت قراري ولا رجعة عنه .

صرخ بقوة وهو يهزها مستحيل تذهبين مع هذا العجوز الخرف، دون أن نتزوج، إن الفراق طعنة لا حياة بعدها ، وخاصة فراق من تربع على عرش قلبي ، عندما يموت القلب والأحاسيس يبقى الجسد جثة هامدة .

عانقته مرات ومرات وهي تهز رأسها وتقول :

أنا القتيلة يا عدنان، بل كلانا أ موات أحياء ، وهذا هو قدرنا لا مناص منه.

باراس

أنا روح تسكن قلب جماد، يا عدنان هكذا ستكون حياتي بدونك.

سمعت الأم هذا الصوت وخرجت مسرعة نحو مصدر الصراخ، فوجدت عدنان يضم ابنتها فصرخت بدون شعور ولا إرادة ما هذا ؟!!

ولكنها أخفضت صوتها عندما رأت عدنان ودموعه ، ونظراته كانتا تحكيان قصة حب وعشق حال الأبيينهما.

جرت ملاك لحض ن أمها وعانقتها كالطفلة المدللة ، وغاصت في بكاء خافت وحزين.

نظرت الأم وقالت لعدنان :

اسمع يا بني لقد بذلت جهداً كبيراً مع زوجي لكي يوافق عليك، ولكن دون جدوى وأعرف ما تحس وتشعر به

صرخ عدنان وقال :

بهذه البساطة ينتهي حبنا وعشقنا بكلمة آسف !!

كيف تعيشون وقد طعنتم قلبين تحابا ثم فرقتم بينهما، تباً لكما ؟!!

كيف ينتهي حبنا وعشقنا قبل أن يبدأ، كيف يموت حب قبل أن يولد ؟!!

لم يكمل عدنان فقد كانت جراحه تنزف دم ، إنها جراح كسر الخواطر وإهانة الكريم، جراح أشد آلاماً ووجعاً من تقطيع السيوف والرماح .

فخرج مسرعاً ودموعه لم تجف بعد .

اسودت الدنيا في عيني عدنان ، خسر كل شيء ، الصديق والحبيب في أيام تعد بالأصابع ، مشى ولا يدري إلى أين تكون وجهته ؟

أعادت ذاكرته شريط الذكريات، وتلك الأيام الخوالي، تذكر صديقه عمر وهو يمازحه قائلاً :

أنت رجل المعجزات ، بكلمة منك تس تطيع أن تصطاد أي امرأة في الكون ، وخصوصاً إذا كانت ذات جمال ودلال.

رآه قادماً نحوه وهو يبتسم ويقول :

أما زلت فـي كهفك أيها الغالي الناس تلمزنا ، ودوت ضحكة سمع صداها كل طير فانتفض من عشه .

صرخ عدنان وقد استوى قائماً .

وقال: وماذا تقول عنا الناس يا صاحب السر الدفين ؟!

تقول : طلعا أصحاب الكهف، نزلا أصحاب الكهف .

تذكر صوت ملاك وهي تمازحه في قمة الجبل ، وكأنه يرأها أمامه ، هي تلك اللوحة التي كان يرسمها ويحلمها منذ أن أصبح شاباً يافعاً.

تذكر تلك الصورة التي أطلَّت عليه ، فسلبت فكره وعقله، وسيطرت على كل جوارحه ، لقد تواعدا وتعاهدا ألا يترك أحدهما الآخر أبداً.

أحس بأنفاسها تعطر حياته، وتنفخ في ذلك الجسد الذي يأن ويتوجع ويتألم من موت صديقه ورفيق دربه، ثم يكتمل الحزن بفراق ملاك ، ها هي تنفخ السعادة فيه ، وتعطيه الأمل كلما عضه الزمان .

ويسمع صوتها الشجي يُطرب الآذان وهي تقول له :

سأظل لجنبك ما حييت، سالت دمع ته وهو يضرب الأرض بقدميه بحنق وغضب ويقول:

ستظلين معي ما حييت أهكذا وعدك أيتها الحبيبة ؟!

نعم سأظل معك ماحييت يا عدنان .

التفت وكاد يصعق من شدة الفرحة وهو يقول :

ملاك الروح تعود .

تعانقا عناقاً ليس له مثيل، كأنهما وقعا بأحرف من ذهب وثيقة حب لا تنقطع إلا بالموت ...

زاد بكاؤهما فاللقاء جن ة الأحباب، والفراق يقطع الأكباد، سيظل هذا اليو م مسجل في ذاكرتهما بأحرف من نور، وسيظل هذا اللقاء محفور في قلبيهما لا تمحيه الأيام ولا السنين مهما تقادم عليها الزمن .

نظر عدنان لعينيها فرأى أمواج من الحزن تعتصر قلبها فسألها قائلاً:

باراس

كيف جئت إلى هنا والحراس على الأبواب ، برماحهم وسيوفهم يمنعون الحبيب من رؤية حبيبه ؟!!!

فوضعت يدها على صدره ، وتنهدت تنهيدة طويلة وقالت:

من يركب البحر لا يخشى من الغرق ، أما قالها قبلنا العشاق .

ضمها لصدره بقوة ، فأحس بسقوط دمعاتها كأنها جمر على يديه .

فقال:

والآن كيف سيكون مصيرنا يا ملاك ، لقد كنت ذاهباً لأخبرك بنفس ما تفكرين فيه الآن، الهروب للمجهول .

أخذت بيده ونهضت، وأخذا يمشيان على حافة الوادي ، وتحتهما وادي سحيق ومهول ، أدنى حركة لا تنتبه لها ، يكون الموت المحقق ..

ماذا تعنين بهذا يا ملاك ؟!

ألم أقل لك إما نعيش معاً أو نموت معاً ؟

هذا القرار خاطئ يا ملاك عمري ؛ فنهايتها جهنم وغضب من الله .

ولكن نرضى بقدر الله ونصبر ونحتسب ، ليس الحب كالفراش يهوي للنار فداء ، الحب أسمى وأجل من ذلك ، حب وعشق يذهب بك للنار فليس بحب!!.

صحيح قد تكون لنا شطحات هنا وهناك، ولكنها مغفورة بإذن الله، من رب غفور رحيم ، ربما فكرت بالهروب في ساعة حماقة وطيش...

العشق يا ملاك ، قد رمى فؤادي بسهمه القاتل ، ولكن للعقل فسحة، فلن أرضى أن أقطع أوصال أسرتك وأفرق بينكم، تذكري دائماً شعارنا :

((هذه أقدارنا كُ تبت علينا ، ومن كُتبت عليه الأقدار مشاها يا ملاك)).

لم تصدق كلمات عدنان ، وصرخت بصوت حزين مكلوم وقالت:

لا مستحيل، مستحيل يكون هذا حبك وعشقك لي ، أنت تصبر على جراحك وتقتل نفسك ، أعرف أنك تموت من الداخل وتحترق، لا يا عدنان لا تعذب نفسك ...

تهبني السعادة وتفدي بروحك من أجلي ، مستحيل أضحي بك بهذه السهولة مستحيل يا عدنان ، أنا عندي مشاعري وأحاسيسي، ووخزات الضمير تطاردني في يقظتي ومنامي ، يا أغلى وأعز حبيب على وجه الأرض .

هزها بكلتا يديه وكلماته تتقطع ممزوجة بدموعه وشهيقه ونحيبه وقال:

نعم من يحب يضحي بكل غالٍ ونفيس، لم تكتب لنا الأقدار هذا الحب ؛ لذا سنفترق بحب ، كما التقينا بحب وعشق، يا ملاك وجوهرة عمري .

لا لا مستحيل يا عدنان أنت تقتلني بخنجر مسموم ، لقد تجرعت إهانة أبي وتركتك تواجه مصيرك لوحدك ، والآن حان رد الجميل ؛ لذلك العاشق الذي وهب دموعه وسهره لملاك حان الوفاء ياعدنان .

صرخ عدنان في وجهها وقال :

لا يا ملاك ، الحب ليس ضريبته الا نتحار ، ولا عقوق الوالدين، ستظل دموع العشاق تحكي قصة حب لكل الأجيال، عشقنا يرفرف في ملكوت الكون ويغرد كالطير الشادي.

عشقنا روح تسمو في الأعالي، وتسبح في فضاء العالم الفسيح، هذا العشق ياملاك لا يملكه إلا اثنان، وبقية الهوى والعشق ضرب على الوتر الحساس ، ثم يقتلع الشجرة من جذورها، ويرميها للكلاب الضالة...

انهارت ملاك وفقدت وعيها لم تعد تتحمل هذا العذاب ، وهي ترى حبيبها وقرة عين ها يتجرع الآلام والأحزان لأجلها، ويصبر وقلبه مكلوم وجريح .

صاح بصوت يخلع القلوب وضمها إليه ، ينهاديها بهمس يقرب للنحيب والبكاء ، يحاول فتح عينيها ، يقبل رأسها يرفع يدها ، ولكن سرعان ما تهوي إلى الأرض ، هل ودعت حياة عدنان ؟

صعق عدنان، وأحس بأن لسانه ثقيلة ويداه ترتعشان، لا يصدق أخذ يردد بصعوبة ،ملاك ، ملاك ،ملاك .

لقد ماتت ملاك ، قتلها الحب والهيام ، قتلها أبوها ذلك الرجل الجشع الطماع، لقد انتزعت الرحمة من قلبه .

آه آه يا ملاك عشقي وحياتي وقرة عيني .

أيتها السماء خذيني إليكِ ، لم تعد الحياة لها معنى بعد فراق من نحب، دعيني أُقبل ذاك الثغر الباسم، دعيني أندب حظي، ألا تسمعين صوتي ياملاك .

ولكن يخاطب جثة هامدة، أصبح كل شيء هباء منثورا، كاد يفقد عقله، واختلط عليه الأمر وهو يقول :

هل يموت الملاك، هل تلك الضحكات والهمسات تنتحر، تختفي وتذوب في سماء الأحلام ؟!

تجمع الناس حولهما،وكثر الهمس واللمز، والقيل والقال وعدنان يحتضن ملاك بين ذراعيه .

هرع أبوها وهو يصرخ:

لقد قتلت ابنتي أيها المجنون تباً لك ؟!!

فنهض عدنان غاضباً، وكاد يفتك به ، لولا تدخل الناس الحاضرين ، كثر الهرج والمرج ، ونزلت أمها من بيتها تولول وتصرخ:

ابنتي تموت لقد قتلتها أيها الأب القاسي العنيد ، لقد قضيت على تفاحة قلبي ، لما لا تزوجها من عدنان ، لقد حرقت قلبي، وظلمت قرة عيني ؟!

فرد الأب والعبرة تخنقه وقال :

سامحيني يا ابنتي ، لو كنت أعل م بأن عشقك وحبك سيكون هذا مصيره، لزوجتك من هذا العاشق المسكين .

فنفض عدنان التراب عن ثيابه وقال :

الآن تنطقها أيها العجوز الخرف، بعد أن قتلتها بطمعك وحبك للمال، لا بارك الله فيك ...

ثم أدار ظهره ، وعيناه كأنهما جمر من شدة حزنه ، وقلبه الذي انفطر مرتين، مرة بموت صديقه عمر ، والثانية بموت قلبه وحبه وأنفاسه التي يتنفسها ملاك...

غاب عدنان عن الأ نظار ، والناس ولأول مرة أحست بمواجع وآلام ذلك العاشق، الذي هام حباً وشوقاً لملاك.

البعض منهم لم يتحمل المشهد المؤثر والحزين ، فتساقطت دموعه بلا استئذان، والبعض الآخر، سب وشتم العم مرزوق، لقسوة قلبه وحبه للما ل، الذي دفع ضريبته من لحمه ودمه، ابنته الوحيدة ملاك ...

التقط الأب جثة ابنته وأخذها لبي ته، والأم صراخها ودموعها لا تكف، كانت لحظات يصعب وصفها، كل شيء انتهى وتوقفت عقارب الساعة .

كان الأ ب والأم يبكيان على فراق ابنتهما، بعد أن وضعاها ، في غرفتها ، وبدأ الأب يج هز مراسيم الدفن ، ويبحث عن مغسل للأموات .

في هذه اللحظات جاء ابن عمها محمود وهو طبيب متخصص،فهرع إليهاوضع أذنه على قلب ملاك وابتسم قائلاً:

إنها حية ترزق، إنها في غيبوبة فقط، إثر صدمة قاسية تعرضت لها ...

تهلل وجه الوالدين وفرحا بعودة ابنتهما للحياة من جديد، وفي البيت قرر الأب الرحيل فجأة للإمارات ، وقرر عدم العودة لذلك الحي مهما كان .

أشرقت شمس الصباح ولم تعد هناك أسرة مرزوق، ولم يعلموا أهل الحي .

كيف دفن مرزوق ابنته ، دون أن يشرك أهل الحي في ذلك ؟!!

والذي أدهشهم أنه رحل فجأة ، ووجدوا على منزله لوحة لبيع منزله.

بحثت أسرة عدنان ع ن ابنهم فلا يوجد له أثر ، انتشر أهل الحي يبحثون بكل مكان، وأخيراً قرر الجميع الذهاب للكهف، فربما هو هناك يتجرع آلامه وأحزانه على فراق أعز ما يملك، صديقه وحبيبته ملاك .

ارتقوا الجبل بصعوبة وبشق الأنفس ، ودخلوا الكهف الموحش، فهالهم ما رأوا وصعقوا وزاد النحيب، وتساقطت الدمعات، حتى كاد يُغمى على أكثرهم، وجدوا بخط مكتوب على جدار الغار وبدم قلبه سطر كلماتها :

((كتبت علينا أقدار ومن كتبت عليه الأقدار مشاها)).

يئس الجميع وأيقنوا بهلاكه في البراري ، همس أحدهم وقال :

باراس

صدقوني ربما عدنان انتحر ، ورمى بنفسه في إحدى الأودية العميقة، وأكلت جثته السباع والذئابللمفترسة..

انبرى عاقلهم وقال :

لا، مستحيل ينتحر، أنا أعرفه أنه رجل تقيٌ، ويعرف عاقبة ذلك يوم القيامة ، ولكن ربما أقول ربما ، أصبح مجنوناً فقد عقله ، من هول الصدمة التي تعرض لها وأصبح يهيم في البراري ...

****

قرع الأب الباب بقرعات خفيفة وقال :

يا ملاك القلب هل تسمعينني ؟!

ولكن لا جواب ظن في نفسه، أن ابنته ما زالت غاضبة عليه.

ففتح الباب ليجد المفاجأة فصعق، وأغمي عليه، هرولت الأم نحو مصدر الصوت فدخ لت فوجدت مرزوق ممدداً على الأرض ، ثم التفتت يمنة فشاهدت ، ما لا تتحمله أم على وجه الأرض، فسقطت على الأرض فاقدة الوعي .

لقد وجدا ورقة مكتوب عليها بقطرات من الدم :

((كتبت علينا أقدار ومن كتبت عليه الأقدار مشاها)) .

بحثا عنها بكل مكان ، لقد اختفت للمجهول ، والعجيب أنها لا تعلم، بأن عدنان لقي نفس المصير ، وفي نفس الوقت والزمان...

باراس

هل التقت أرواحهما وقررت تنفيذ العهد والميثاق ، مهما فرقتهما الظروف ؟!

هل سجلت دموع العشاق قصة ح ب، وعشق لا تنقطع مهما فرقتهم المسافات وقوانين المادة ؟!!

ذلك اللغز المحير والظاهرة العجيبة ، عاشقان تحابا ثم افترقا تحت ظروف غامضة لم يكشف الستار عنها ، وأخيراً وبدون مقدمات ، وبدون كيف ولماذا ومتى ، اختفيا في غياهب الزمان ؟!!.